التراث الأرثوذكسي

ISSN 1814-7038

السنة التاسعة عشرة، العدد الثالث، كانون الأول ٢٠٢٢

مختارات آبائية/ حياة روحية

الشيخ يوسف الفاتوبيذي، التوبة العملية وثمارها

إعداد أسرة التراث الأرثوذكسي، التفهّم لدى الآباء

مختارات آبائية/ تربية مسيحية

القديس فيلاريت درودزوف موسكو، التعليم الديني المطوّل – ٨

حياة روحية

إعداد أسرة التراث الأرثوذكسي، القديس جراسيموس كاتب التسابيح

الأب أفسافيوس فيتتيس، الهدوء بدون تكنولوجيا

الميتروبوليت فيلاريت فوزنسنسكي، اللاهوت الأخلاقي، الفصل الرابع

مكتب الهرطقات والبدع، أبرشية بيريه، الأزمة الاقتصادية العالمية

مسكونيات

القديس يوحنا ماكسموفيتش، تقهقر بطريركية القسطنطينية

التوبة العملية وثمارها

الشيخ يوسف الفاتوبيذي

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

المسيح هو الحق الحي. "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يوحنا ٦:١٤). لذلك فهو حياة بلا بداية، غير محدود (ἀπεριόριστος)، غير مقيّد (ἀδέσμευτος)، أبدي مع الآب، غير منفصل وغير منقسم عنه. "مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ، كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ، لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ، الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ، الَّتِي أَجْزَلَهَا لَنَا بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَفِطْنَةٍ" (أفسس١:٣-٨). بعد هذا الإعلان، تتبع البركة الأبدية للوعود الإلهية، والتي بدأت بالدعوة الأولى التي أطلقها الرب: "توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات" (متى ٤:١٧).

بتوبتنا يتم إحياء جوهر وقوة الحياة في داخلنا، و بالإيمان يُستعاد شرف وقيمة إنسانيتنا المفقودة. تتجدد قدرتنا على الاتصال بنعمة الروح القدس وتلقّيها، والاستنارة الإلهية بشكل عام من خلال حسرة التوبة. لقد ضعفت هذه القدرة في البداية بسبب تجاوزاتنا. في بداية التوبة العملية، ومهما جاهد المرء، فإنه لا يستطيع، كما قد تخيَّل، أن يحقق فداءه ولا يمكنه التحرر من قيود "الإنسان القديم" (παλαιόν ἄνθρωπον). في البداية، يحاول المرء ببساطةٍ أن يسيطر على نواياه الخاطئة ويوقف خضوعه العملي للأهواء والعادات الخاطئة. في النهاية يتوقف عن الاقتراض ويبدأ بالتفكير في السداد. أحياناً يصد أهواءه وتجاربه بسعادة، وفي أحيان أخرى يصبح ذلك مؤلماً. ثم يبدأ بالمقارنة، قدرَ استطاعته، كم ما زال بعيداً عن الحياة الروحية الحقيقية، وخاصةً عندما يكون سلوكه تجاه الآخرين غير لائق. في هذه المرحلة تظهر عليه الحاجة للوم الذات، وهذا يؤدي به إلى التواضع الذي بدونه لا توجد حياة اجتماعية. تحتاج هذه المهمة إلى صبر ومثابرة، لكن النجاح الكامل يعتمد على نعمة الله فقط و"ولا يتعلق بنا مطلقاً".

إن رب الكون كله يشجعنا حقاً. هو القائل: "ثقوا فقد غلبت العالم!" (يوحنا ٣٣:١٦). انتصارنا الحقيقي ليس في أن هذه الضمانات يقدمها الله الخالق القدير، بل في أنه يقدمها كشخصٍ كذلك.إن المنتصر على العالم، أي المنتصر على الخطيئة أو بالأحرى المنتصر على كل الخطايا في كل العوالم وفي كل الأزمان، هو الشخص يسوع المسيح الذي أصبح متسامياً لكي يجعل جميع أتباعه متسامين. عندما نتبع الوصايا الإلهية في مجمَل حياتنا، فإننا نتّجه بالضبط نحو نفس النصر. " إِنْ ثَبَتُّمْ فِيَّ وَثَبَتَ كَلاَمِي فِيكُمْ تَطْلُبُونَ مَا تُرِيدُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ. بِهذَا يَتَمَجَّدُ أَبِي: أَنْ تَأْتُوا بِثَمَرٍ كَثِيرٍ فَتَكُونُونَ تَلاَمِيذِي"(يوحنا ١٥:٧-٨). إننا فقط نصبح مستحقين لهذا به (εν αυτώ) وبقوة نعمته. لا يوجد طريق آخر. لا أحد آخر يستطيع أن يقودنا، أو أن يكشف لنا أسرار الكنوز الإلهية التي تفوق الطبيعة "فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا" (كولوسي ٢:٩). هو وحده قد احتوى في عمل

إلهي أبدي واحد الكونَ بأسره، السماوات والأرض ومناطق الجحيم أيضاً. إذا اتبعنا خطاه بشكل حاسم وثبتنا في تعاليمه، فنحن قادرون على أن ندرك باستنارته، أن نشارك في "كينونته" المتسامية، وذلك بمقدار توبتنا.
مَن يتوب بتواضع يشعر بأنه لا يحتضن الخليقة المرئية فقط، بل وأيضاً الخليقة غير المرئية، بقوة المحبة التي تنبع من قلبه. وذلك لأن هذا النوع من الصلاة يلقى ترحيباً عند الله ودلالة على أنه اكتسب "روحاً منسحقاً". لذلك فإنه يصير، كما يسوعنا، "كل شيء لكل الناس" (١كورنثوس ٢٢:٩).
من الآن فصاعداً، مَن ذاق هذه الحلاوة فليكن مستعداً أيضاً لتذوق المرارة المقابلة التي تنتج عن التغييرات. النعمة الأم، التي عزَّت النفس التائبة وقوّتها بمودة وخلصتها من آثار التجارب والجهل؛ التي رفعتها إلى إدراك الكثير من الأسرار، تصبح فجأة بلا رحمة وتخفي وجودها. والنفس التائبة تقرع باب التوبة عبثاً. تقرع نفس الباب الذي كان يفتح فوراً في الماضي. كل شيء في كل مكان يبدو كئيباً وما من مساعدة من أحد. "إلهي ، إلهي ، لماذا تركتني؟" (متى ٤٦:٢٧) لا يوجد "سمعان كنعاني [قيرواني]" ليحمل صليبنا. حتى لو صرخنا ثلاث مرات أو عدة مرات، فإننا لا نستطيع إدراك الاستجابة بوضوح. هناك عزاء سري واحد: الرجاء الذي لم ينطفئ بل هو يشجّع المجاهد بصمت: "لا تخَفْ. آمِنْ فقط". اسمحوا لي بالأحرى أن أستشهد بكلمات أبينا العظيم الشيخ سلوان القديس: "احفظ ذهنك في الجحيم ولا تيأس".
إن القول: "كَانَ لِبَاسِي مِسْحاً. أَذْلَلْتُ بِالصَّوْمِ نَفْسِي" (مزمور ١٣:٣٥) يصبح واجبنا اليومي بالإضافة إلى هذا: " صَارَتْ لِي دُمُوعِي خُبْزًا نَهَارًا وَلَيْلًا" (مزمور ٣:٤٢). ثم نتذكر مرة أخرى كلمات ربّنا المشجّعة: " وَلكِنِّي سَأَرَاكُمْ أَيْضًا فَتَفْرَحُ قُلُوبُكُمْ" (يوحنا٢٢:١٦).
الصفاء يتلو العصف الذهني والبحار الهادئة تلي المياه العاصفة. تظهر النعمة مجدداً بعد اختبار التخلّي الجزئي؛ تبدأ الروح بالترتيل منتصرة: "أنتَ يا ربّ حَوَّلْتَ نَوْحِي إِلَى رَقْصٍ لِي. حَلَلْتَ مِسْحِي وَمَنْطَقْتَنِي فَرَحًا" (مزمور ١١:٣٠). إن لحضور النعمة الإلهية بعد فترة الاختبار قيمة أعلى و"أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقَطْرِ الشِّهَادِ." (مزمور ١٠:١٩) لأنه يعزز إدراك المحبة الإلهية أكثر مما عرفته الروح من قبل. كما يُحسَّن التواضع، إذ يُكشَفُ عدمُ استحقاق الإنسانِ مقارنة بقوة المحبة الإلهية، وتعترف النفس بروح منسحق: " خَيْرٌ لِي أَنِّي تَذَلَّلْتُ لِكَيْ أَتَعَلَّمَ فَرَائِضَكَ." (مزمور ٧٢:١١٩) ... قَدْ عَلِمْتُ يَا رَبُّ أَنَّ أَحْكَامَكَ عَدْلٌ" (مزمور ٧٥:١١٩)... " تَذَلَّلْتُ إِلَى الْغَايَةِ. يَا رَبُّ، أَحْيِنِي حَسَبَ كَلاَمِكَ" (مزمور ١٠٧:١١٩). هذا الإحساس العميق بالتواضع يوسّع قدرات الإنسان الروحية ويقدّمه إلى عالم الحرية. نحن نصل إلى إدراك يسوعنا "الوديع والمتواضع القلب" في التواضع وهذا هو معنى "وتعرفون الحق والحق يحرركم" (يوحنا ٣٢:٨).

بعد ذلك، ندخل عالم الخليقة الجديدة والطبيعة المستعادة، حيث يكون الهواء والمناخ، حسب تعليمِ شيخنا المبارك، مُختلفَين. يصبح مَن هم في هذه الحالة أبناء العصر الجديد، بحسب القديس مكاريوس، ويطورون نوعاً مختلفاً من الحواس." يُبْتَلَعَ الْمَائِتُ مِنَ الْحَيَاةِ" (٢كورنثوس ٤:٥). يتم إحياء حواسنا بالكامل بحيث لا تعود تتصرف بلا عقلانية ولكن فقط "في عبودية البر بالقداسة" (رومية ١٩:٦). ولكن لا يظنَّنَّ أحد أن هذا الترف يكون في متناول أيٍّ كانَ وبلا جهد، وإنما فقط بعد انتصاره على تجربة صعبة قوامها الصبر في وجه

التجربة، والتي من خلالها تختبر النعمةُ الإلهية المجاهدين وتجربهم. " اِنْتِظَارًا انْتَظَرْتُ الرَّبَّ، فَمَالَ إِلَيَّ وَسَمِعَ صُرَاخِي، وَأَصْعَدَنِي مِنْ جُبِّ الْهَلاَكِ، مِنْ طِينِ الْحَمْأَةِ، وَأَقَامَ عَلَى صَخْرَةٍ رِجْلَيَّ. ثَبَّتَ خُطُوَاتِي"(مزمور ٤٠:١-٢). يأتي هذا القول من مزامير داود الذي يرغب في إعلان درجة الإطناب فيكرر كلمة "ypomenon ypemeina" (انتظاراً انتظرت): لقد ميّزت نفسي في حالة المثابرة. هذا ما يشدُّ انتباه الرب. وبعد ذلك "أخرجني من جب الهلاك، من طين الحمأة". هذا هو الحرمان واليأس الذي يتبع التجارب القاسية. ثم ، "أقام على صخرة رجلي. ثبتَ خطواتي". "الصخرة" التي وضع قدمه عليها هي حالة الحرية المكتسبة. "تثبيت الخطوات" هو فضيلة التمييز. هكذا تتجدّد "الذات القديمة". أولئك الذين قبلوا المسيح بالإيمان، سيفهمون عمَّا قريبٍ ما عدّوه غرابة في تعاليمه حتى الآن على أنه الحقيقة المطلقة. يدرك الإنسان عدم استحقاقه ويقترب من الآب الذي لا بدء له. يعدُّ كل شيءٍ آخر وكأنه مصنوعٌ من الحجر وفاسدٌ وعديم القيمة، وتجذبه رغبة الصلاة نحو الله الحي الشخصي.يدركه عبر أخلائه لذاته، حين نزل إلى العالم السفلي، إلى الجحيم وصعد لاحقاً فوق كل سماء وجلس عن يمين الآب لكي يتمّم كل شيء. لذلك من الآن فصاعداً، هو الطريق، وفقط من خلاله يستطيع كل واحد منا أن يأتي إلى الآب: "لا أحد يأتي إلى الآب إلا بي" (يوحنا ٦:١٤).

يقول بولس أن المسيحيين ورثوا نعمة وفيرة أكثر مما أُعطيَ للأنبياء وللذين عاشوا قبل الناموس وفي الناموس. هم أدركوا الأمور الإلهية بطريقة ظليّة وغامضة، فيما صرنا نحن " شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ" (٢ بطرس ١:٤). لقد أدركنا بحواسنا و "لمست أيدينا" كلمة الحياة. وهو يشهد بنفسه: " وَلكِنْ طُوبَى لِعُيُونِكُمْ لأَنَّهَا تُبْصِرُ، وَلآذَانِكُمْ لأَنَّهَا تَسْمَعُ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَنْبِيَاءَ وَأَبْرَارًا كَثِيرِينَ اشْتَهَوْا أَنْ يَرَوْا مَا أَنْتُمْ تَرَوْنَ وَلَمْ يَرَوْا، وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوا"(متى ١٣:١٦-١٧). يؤكّد لنا بولس أن معرفة سر المسيح قد أُعطيَت لنا بالروح القدس، وهو أمرٌ "فِي أَجْيَال أُخَرَ لَمْ يُعَرَّفْ بِهِ بَنُو الْبَشَرِ" (أفسس ٣:٥).ـ هذا السر عظيم ورائع لدرجة أن على الكنيسة أن تُعرِّفَ الحكام والسلطات في السماويات "بِحِكْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ، حَسَبَ قَصْدِ الدُّهُورِ الَّذِي صَنَعَهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا الَّذِي بِهِ لَنَا جَرَأَةٌ وَقُدُومٌ بِإِيمَانِهِ عَنْ ثِقَةٍ." (أفسس ٣:١٠-١٢).

إن جوهر هذا السر هو أن نعرفَهُ وقوَّةَ قيامتِه ونشترك في آلامه لنبلغ إلى " قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ" (فيلبي ٣:١١) (هكذا تصبح مشابهة للآية..). إن الرَّب القائم والجالس عن يمين الآب، قد نزل إلى أسافل دركات الأرض. لذلك، فإن الطريق الذي يقودنا إليه يتطلب منا أن نخلي ذواتنا بالألم. هذا هو سبب وجود مرحلة التجارب المختلفة. لقد شوهت صورتنا الفاسدة ملَكات عقلنا. لذلك فإن الوصايا "كونوا قدّيسين لأني قدوس" (١ بطرس ١:١٦) و"كونوا كاملين كما أن أباكم السماوي كامل" (متى ٥:٤٨) يجب أن تصير واجبنا المطلق. " بِضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ يَنْبَغِي أَنْ نَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ" (أعمال١٤:٢٢) وبحق "كَثِيرَةٌ هِيَ أَحزَانُ الصِّدِّيقِ" (مزامير٣٤:١٩). إننا بالجهاد العنيف ضد القوانين اللاعقلانية التي تؤثّر على جسدنا الفاسد، نقنع النعمة الشافية بأن تصلِحنا. لهذا السبب تبنَّى أباؤها محبة العمل الجاد حتى إلى حدٍّ يفوق قدرتهم. لقد فهموا معنى القول: " إِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَهُ فَسَنَحْيَا أَيْضًا مَعَهُ" (٢ تيموثاوس ٢:١١) وأبطلوا بالفعلِ أعضاءهم الجسدية. وهكذا أصبحوا مستحقين للبس صورة الإلهي. لقد تعلموا بالتجربة أنه قبل أن يدخلوا الحياة يجب أن يمروا بالجلجثة. لذلك، لم يسمحوا

لأقدامهم المتعبة بالسير في الطريق العريض السهل، بل سلكوا الطريق الضيق الشديد الانحدار طوال حياتهم للوصول إلى مخلصهم المسيح، الذي مات وقام من أجلهم.

يَعِد ربنا من يريد أن يتبعه مُنكِراً ذاته كما ينبغي، بمكافأة مئة ضعف في هذه الحياة وبملكوته الأبدي في الحياة الآخرة. لا يقصد بمكافأة "مئة ضعف" الخيراتِ المادية أو تقدير الناس، بل المواهب الروحية التي تنعش الروح، والمعاينات الفائقة الطبيعة، التي تجعلنا قادرين على التواصل مع الأسرار الإلهية. بما أن "ملكوت الله في داخلنا" (لوقا ٢١:١٧) فإنه لا يخفي أسراره عن الشخص الذي يلتزم بمبادئه، بل يستجيب لزفراتِ قلبه الصامت بطريقة أمومية، ويكشف له ما هو محفوظ له في المستقبل. كما يريه الذين عاشوا قبله وكيف يشاركون الآن في المجد الإلهي بقدر كفايتهم.

إن ثمار الروح القدس، المواهب الإلهية التي هي قوة الكنيسة، يتقاسمها محبّو الله والمقاتلون المجاهدون. وبهذه الطريقة، فإنَّ من يحيون حياةً وضيعةً ومحتقَرةً خلال فترة جهادهم يصيرون لاحقاً موثوقين ومُحترَمين، لأنهم يقدمون الدعم والراحة للمؤمنين، إذ إنَّهم قد "تعلّموا من الله" ويُخرِجُون "مِنْ كَنُوزِهِم جُدُدًا وَعُتَقَاءَ"(متى ٥٢:١٣)." الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ" (غلاطية ٢٤:٥) و"يعِيشَون فِيمَا بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ" (٢ كورنثوس ١٥:٥). من الواضح أنهم يشاركون أيضاً في مواهبه. " فَإِنَّهُ لِوَاحِدٍ يُعْطَى بِالرُّوحِ كَلاَمُ حِكْمَةٍ، وَلآخَرَ كَلاَمُ عِلْمٍ بِحَسَبِ الرُّوحِ الْوَاحِدِ، وَلآخَرَ إِيمَانٌ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ، وَلآخَرَ مَوَاهِبُ شِفَاءٍ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلآخَرَ عَمَلُ قُوَّاتٍ، وَلآخَرَ نُبُوَّةٌ، وَلآخَرَ تَمْيِيزُ الأَرْوَاحِ، وَلآخَرَ أَنْوَاعُ أَلْسِنَةٍ، وَلآخَرَ تَرْجَمَةُ أَلْسِنَةٍ. وَلكِنَّ هذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ، قَاسِمًا لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ، كَمَا يَشَاءُ" (١ كورنثوس ٨:١٢-١١).

إذا كانت كل هذه وغيرُها من المواهب، التي يوزِّعها الرب على الذين يحبونه، ليست سوى مائة ضعف من تلك التي تخلَّوا هم أنفسُهم عنها ليتبعوه، فما من أحدٍ يقدر أن يصف مدى عظمة المواهب الأبدية بعد التجديد. لقد سُمح للأتقياء استيعابُ مثل هذه العظمة "جزئياً" فقط لأنهم ما زالوا في الكنيسة المجاهدة (στρατευομένην). لا يقدر أحد أن يحكم على "الروحيين والأمور الروحية"، لكن الروحيين وحدهم يحكمون على كل شيء. لذلك فنحن غير قادرين على تقييم أي شيء، ولكنْ يمكنُ أن نَصِفَ قليلاً فقط ما اعترفوا به لنا. إن المواهب الروحية هي عطايا من الروح الكلي قدسه ذاته؛ بعضها [أي المواهب] يسبق والآخر يلي. ولكنَّ الكُل يُعطى جميعَها تُعطى للكنيسة لتلبية احتياجاتها، وبالتالي يُكشف عنها في الظروف المناسبة لمساعدة المؤمنين. بعض المواهب، كالنبوءة والشفاء، توصَف بأنها "تمهيدية". بالنسبة للبعض، تُعطى موهبة الشفاء بحسب إيمانهم بينما تُمنح موهبة النبوءة لمَن ضميرهم أكثر صرامة. تُعطى موهبة النبوءة أحياناً على مراحل من خلال التبصّر الذي يبدو بالغالب كبقايا من شخصية الإنسان الأصلية التي أفسدها السقوط. قد يظهر التبصر أيضاً بين الأقارب. لذلك، فالكثير من الأمهات لديهنَّ حدسٌ حول معاناة أطفالهن، أو يتشارك التوائم في آلام بعضهم البعض حتى عندما يكونون بعيدين عن بعضهم البعض. تظهر هذه الموهبة أحياناً بين المؤمنين في مرحلتهم الروحية الأولى، بمجرد أن يبدؤوا بعيش حياة التقوى ويتطهَّروا من الخطيئة. كل تقدم روحي يعزز

البصيرة إلى مستوى الرؤية. إذا وصل العقل إلى النور بنعمة المسيح، فإن مواهب التبصر والتنبؤ تُمنح بمشيئة الروح القدس. مواهب الله موجودة دوماً بوفرة في بُسَطاء الشخصية الذين يشبهون الأطفال روحياً. تُمنَح كل هذه المواهب إلى عاشقي المحبة الإلهية المتحمسين، مثل بولس الذي كان يفكر " إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ ... نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ" (فيلبي٣:٨). قلة قليلة من الناس في كل جيل يمنَحون مثل هذه الموهبة.

ينظر الآباء إلى التمييز على أنه "أسمى الفضائل كلها". لذلك لن نخطئ إذا وضعنا هذه الفضيلة في أعلى مرتبة. ما هو التمييز غير أنَّه "العيون الروحية"، التي تدرك وتميّز أسرار العالم الطبيعي والروحي في جميع الأبعاد مثلما يفعل الشيروبيم. إن وصية الرب " لِيَكُنْ لَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ مِلْحٌ" (مرقس ٩:٥٠) ليست بعيدة عن معنى فضيلة التمييز. "اَلْحَكِيمُ عَيْنَاهُ فِي رَأْسِهِ" (جامعة٢:١٤). ماذا تعني هذه الآية غير "عيون" التمييز؟ كم مرة وصف لنا شيخنا المبارك هذه الفضيلة وكم مرة كتب عنها آباؤنا من تجربتهم الخاصة؟ إن الذين أُنعِمَ عليهم برائحة فضيلة الروح القدس هذه من آبائنا، كانوا دائماً محور اهتمام أبناء جيلهم، الذين يقربونهم لمعرفة مشيئة الله وحلّ تساؤلاتهم الشخصية.

إن هؤلاء الناس هم مثل الأنبا بيمن - منارة التمييز الحقيقي، الشيخان العظيمان بارسانوفيوس ويوحنا أساتذة الشريعة الروحية، مرقس النّاسك والقديس مكسيموس المعترف وكثيرون آخرون، الذين لطالما اعتُبروا "أصحاب البصيرة" بين جماعة الكنيسة. هؤلاء الناس، كمشاركين في موهبة الروح المنيرة بالكلِّية، يكررون مع بولس "لِئَلاَّ يَطْمَعَ فِينَا الشَّيْطَانُ، لأَنَّنَا لاَ نَجْهَلُ أَفْكَارَهُ." (٢ كورنثوس ٢:١١). إنهم أنقياء القلب، وقد تكمّلوا في الطاعة والخضوع وأنكروا مشيئتهم بشكل كامل؛ إن ضميرهم مستقيم وليست لديهم أية أنانية على الإطلاق؛ يثابرون على العمل الروحي بالصلاة الربانية ويحفظون ذكر الله باستمرار في أذهانهم؛ إنهم يواظبون بجدّ في وجه التجارب. أن هؤلاء الأشخاص مُعتَرَفٌ بهم بأنهم الحَفَظةُ الحقيقيون لأسرار الرب وقد كوفئوا بفضيلة التمييز. إنهم يصبحون منارات روحية للناس، والعيونَ الروحيةَ للكنيسة وكاسري أمواج الشرير. إن وصية الرب بأن يعمل الإنسان ويحفظ (أنظر تكوين ٢:١٥) تنطبق عليهم تماماً فيصبحون قادرين على رعاية قطيع المسيح.

لذلك بعد الله فلنعتبر ضميرنا الحارس الذي لا ينام والحكم الذي لا لبس فيه لكل فعل من أفعالنا. "بعد ذلك، إذ ندرك اتجاه الريح، نفتح أشرعتنا وفقاً لذلك" (القديس يوحنا السلمي، الفصل ١١، الفقرة ٥).

source: Translated by Olga Konari Kokkinou from the Greek edition: Γέροντος Ιωσήφ Βατοπαιδινού, Αθωνική Μαρτυρία, Ψυχοφελή Βατοπαιδινά 2, Έκδοσις β΄, Ιερά Μεγίστη Μονή Βατοπαιδίου, Άγιον Όρος 2008.

التفهّم لدى الآباء

إعداد أسرة التراث الأرثوذكسي

يجب أن نتعلم التفهم في تعاملنا مع الآخرين لأن موقفنا هو مرآة تكشف حقيقتنا. لا ينبغي أن ننسى أن الجباة والعاهرات تابوا وخلصوا، فيما الكتبة والفريسيون الذين أدانوهم لم يتوبوا. لسنا مُعيَّنين لنكون قضاة على الآخرين. يعود هذا الدور حصرياً إلى ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذي سيديننا جميعاً بحسب أعمالنا في مجيئه المجيد. لذلك لا ينبغي لنا أن نعتقد أننا نعرف مستقبل إخوتنا من البشر. بل علينا أن ننظر إلى أنفسنا ونكون قضاة صارمين على ذواتنا ومتسامحين مع الآخرين.

فقط بالمثال المقدس المشرِق وبالكلمات الطيبة والقناعة يمكننا مساعدة أصحاب النوايا الحسنة، وليس بالكلمات السيئة والتمثيل المسرحي. بدلاً من أن نهتم بأخطاء الآخرين، نكون أفضل حالاً إذا حاولنا اكتشاف فضائلهم، والتي غالباً ما تكون مخفية. يجب أن نعمل على جمع الأحجار الكريمة التي نميّزها في فضائل الآخرين، بدلاً من أن نكون جامعي قمامة ينقبون في نفايات البؤس البشري. نحن مدعوون إلى أن نقلّد النحل الذي يتنقل من زهرة إلى زهرة، بدلاً من الذباب الذي يكتفي بالقذارة.

يلاحظ القديس باسيليوس الكبير أن الأشخاص الذين يهتمون باستمرار بالفساد والشر وآثام الآخرين هم مثل النسور التي تطير فوق المروج والأماكن العطرة الجميلة، لكنها تكون في عجلة من أمرها للوصول إلى الجثث المتعفنة.

قبل أن نحكم على الآخرين، يجب أن نضع في اعتبارنا مصافي سقراط الثلاثة: هل ما نقوله صحيح وضروري ومفيد؟ إذا لم يكن الأمر كذلك، فعلينا أن نلتزم الصمت ونصلي إلى الله طالبين الرحمة، لأنه إذا التفت إلى خطايانا، فما من أحد يستطيع الادعاء أنه بلا لوم. وبالمثل، لا ينبغي أن ننسى تعليم القديس بولس عن أن المحبة دائماً: "تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ". (١ كورنثوس ١٣:٧).

كما يشارك علماء الآثار في ترميم الآثار القديمة لإعادتها إلى مجدها السابق، يجب أن نوظف حياتنا الطيبة والمسيحية الفاضلة وكلماتنا اللطيفة لاستعادة وإعادة تأهيل الحطام البشري من حولنا. لا نقلّدنّ رسّامي الكاريكاتير الذين يبالغون في الأشياء لكي يسخروا منها؛ بدلاً من ذلك، لنقلّدنّ الصَّقل الذي يمارسه الرسام الذي ينقّح الأشياء ليجعلها أجمل.

تماماً كما تحتاج إلى الملح لصنع الخبز المناسب، أنت بحاجة إلى المحبة مع الفضائل. بدون المحبة لا يمكنك تطبيق الفضائل، لأن كل فضيلة تتعزز بالمحبة والتواضع. فمن جهة، يرفع التواضع مَن يمتلكونه إلى ذروة الإنجازات العظيمة. أما من الجهة الأخرى، فإن المحبة تبقيهم راسخين حيث هم وتمنعهم من السقوط. لذا، فلنجاهد بكل قوتنا لاكتساب المحبة، حتى لا يأخذنا أعداؤنا أسرى (القديس إفثيميوس).

* حياتنا وموتنا يعتمدان على أخينا. لأننا إذا انتصرنا على أخينا أو أختنا فإننا نكسب الله. وإذا فضحنا أخانا، فهذه خطيئة ضد المسيح (القديس أنطونيوس الكبير).

* عندما يبدأ الناس بالشعور في أرواحهم بقوة بالمحبة تجاه الله، فإنهم في نفس الوقت يبدؤون بمحبة أخيهم بشعور روحي.

* بحسب القديس ديادوخوس فوتيكي، لا يستطيع أحد أن يحب أو يؤمن حقاً إذا كان ضميره يضايقه.

* من المستحيل أن نقتني محبة راسخة (لله) إذا كنا نحتفظ بموقف عدائي تجاه أي شيء أرضي.

* بحسب القديس بولس، إذا اقتنى الناس كل مواهب الروح، لكن لم يقتنوا المحبة، فلا نفع لهم. يخبرنا القديس مكسيموس المعترف أن علينا أن نعمل بجد كبير لاكتساب المحبة.

* يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "لا تتجاهل محنة قريبك، ولكن ليهتمَّ كل واحد منكم بخطف قريبه من فم الشيطان".

* يعلمنا الأب كاسيانوس أنه عندما لا نتمكّن من محبة الله، فإن الصوم واليقظة والفقر وقراءة الكتاب المقدس لن تجعلنا أكثر احتراماً.

* يؤكد القديس يوحنا السلمي أنه إذا كنا نفتقر إلى المحبة، أي أننا لا نحب الله ولا إخوتنا وأخواتنا المسيحيين، فالإيمان والرجاء لا قيمة لهما.

* يعلّم القديس ديمتري روستوف أن محبة المؤمنين لله باطلة إذا كانت مماثلة لمحبة الأخ، لأننا لا نستطيع مساواة الخالق بالمخلوق. ينبغي أن تكون محبة الله كما يكون الخالق محبوباً ومكرَّماً أكثر من أي مخلوق.

التعليم الديني المطوّل - ٨
لكنيسة الله الشرقية الأرثوذكسية الجامعة
المعروف أيضاً بتعليم القديس فيلاريت درودزوف موسكو
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

هذا التعليم راجعه وأقرّه المجمع المقدس (الروسي) ونشره ليتمّ استعماله للتعليم في المدارس كما ولكل المسيحيين الأرثوذكسيين (موسكو، المطبعة المجمعية، ١٨٣٠)

عن البند التاسع

٢٥٢. ما هي الكنيسة؟

الكنيسة هي جماعة من البشر، أساسها إلهي، متحدة بالإيمان الأرثوذكسي وناموس الله والكهنوت والأسرار المقدسة.

٢٥٣. ما هو الإيمان بالكنيسة؟

إنه تكريم كنيسة المسيح الحقيقية تقوياً، وإطاعة تعاليمها ووصاياها، وذلك اقتناعاً بأن النعمة ثابتة فيها وهي تعمل وتعلّم وتحكم للخلاص الذي ينسكب من رأسها الأبدي الوحيد، الرب يسوع المسيح.

٢٥٤. كيف يمكن أن تكون الكنيسة المنظورة موضوع الإيمان بينما الإيمان، كما يقول الرسول، هو دليل على الأشياء التي لا تُرى؟

أولاً، بالرغم من أن الكنيسة ظاهرة، فإن نعمة الله الساكنة فيها وفي المتقدسين فيها ليست ظاهرة. وهذا هو ما يشكّل بشكل صحيح موضوع الإيمان في الكنيسة.

ثانياً، على الرغم من أن الكنيسة منظورة بقدر ما هي على الأرض، وتضمّ جميع المسيحيين الأرثوذكسيين الذين يعيشون على الأرض، فهي في نفس الوقت غير مرئية، إذ أنها أيضاً في السماء جزئياً، وتضمّ كل الذين رحلوا من هنا في الإيمان الحقيقي والقداسة.

٢٥٥. على أي أساس يمكننا أن نركّز فكرة أن الكنيسة موجودة في نفس الوقت على الأرض وفي السماء؟

على الكلمات التي قالها الرسول بولس للمسيحيين: "قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَإِلَى مَدِينَةِ اللهِ الْحَيِّ. أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ، وَإِلَى رَبَوَاتِ هُمْ مَحْفِلُ مَلاَئِكَةٍ، وَكَنِيسَةُ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَى اللهِ دَيَّانِ الْجَمِيعِ، وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ، وَإِلَى وَسِيطِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، يَسُوعَ" (عبرانيين ١٢:٢٢-٢٤)

٢٥٦. ما الذي يؤكّد لنا أن نعمة الله ثابتة في الكنيسة الحقيقية؟

أولاً: أن رأسها هو يسوع المسيح، الإله والإنسان في شخص واحد، مملوءاً بالنعمة والحق، وهو يملأ جسده أيضاً، أي الكنيسة، بالنعمة والحق. (١يوحنا ١٤:١٧).

ثانياً، بأنه وعد تلاميذه بأن الروح القدس يأتي ويبقى معهم إلى الأبد، وأنه بحسب هذا الوعد، الروح القدس يعيِّن رعاة الكنيسة. (يوحنا ١٤:١٦).

يقول الرسول بولس عن الله الآب أعطى يسوع المسيح أن يكون " رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ" (أفسس ١:٢٢-٢٣). والرسول نفسه يقول لرعاة الكنيسة: "اِحْتَرِزُوا إِذًا لأَنْفُسِكُمْ وَلِجَمِيعِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً، لِتَرْعَوْا كَنِيسَةَ اللهِ الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ" (أعمال ٢٠:٢٨).

٢٥٧. ما الذي يؤكّد لنا أيضاً أن نعمة الله ثابتة في الكنيسة حتى الآن، وستبقى فيها حتى نهاية العالم؟

هذا ما تؤكده لنا أقوال يسوع المسيح نفسه ورسوله التالية: "أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا" (متى ١٦:١٨). "أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى منتهى الدَّهْرِ. آمِينَ." (متى ٢٨:٢٠). " لَهُ الْمَجْدُ فِي الْكَنِيسَةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ إِلَى جَمِيعِ أَجْيَالِ دَهْرِ الدُّهُورِ. آمِينَ" (أفسس ٣:٢١).

٢٥٨. لماذا الكنيسة واحدة؟

لأنها جسد روحي واحد، لها رأس واحد هو المسيح، ويحييها روح واحد من الله. "جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضًا فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ. رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، إِلهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ." (أفسس ٤:٤-٦).

٢٥٩. هل ما زلنا على نفس القدر من الثقة والصراحة بأن يسوع المسيح هو الرأس الوحيد للكنيسة الواحدة؟

يكتب الرسول بولس، أنه بالنسبة للكنيسة " فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ، الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ" (كورنثوس ٣:١١). لذلك لا يمكن للكنيسة، كجسد المسيح، أن يكون لها رأس غير يسوع المسيح.

والكنيسة وجِدَت لتثبت على مرّ الأجيال، لذا تحتاج أيضاً إلى رأس ثابت؛ وهذا هو يسوع المسيح وحده.

لذلك، أيضاً، لا يأخذ الرسل ألقاباً أعلى من لقب خدام الكنيسة (كولوسي ١:٢٤-٢٥).

٢٦٠. ما هو الواجب الذي تضعه وحدة الكنيسة علينا؟

السعي للحفاظ على وحدانية الروح في رباط السلام. (أفسس ٤:٣).

٢٦١. كيف يتفق وجود العديد من الكنائس المنفصلة والمستقلة، ككنائس القدس وأنطاكية والإسكندرية والقسطنطينية وروسيا، مع وحدة الكنيسة؟

هذه كنائس مستقلّة، أو أجزاء من الكنيسة الجامعة الواحدة: إن انفصال تنظيمها المرئي لا يمنعها من أن تكون جميعاً أعضاء روحيين في جسد الكنيسة الجامعة، ومن أن يكون لها رأس واحد، المسيح، وروح إيمان ونعمة واحدة. هذه الوحدة يُعبّر عنها ظاهرياً من خلال وحدة قانون الإيمان والشركة في الصلاة والأسرار.

٢٦٢. هل توجد على المثال نفسه وحدة بين الكنيسة على الأرض والكنيسة في السماء؟

لا شك بوجودها، باشتراك الكنائس برأس واحد، ربنا يسوع المسيح، والشركة المتبادلة مع بعضها البعض.

٢٦٣. ما هي وسائل شركة الكنيسة على الأرض مع كنيسة السماء؟

صلاة الايمان والمحبة. المؤمنون الذين ينتمون إلى الكنيسة المجاهدة على الأرض، في تقديمهم للصلوات إلى الله، يدعون في نفس الوقت القديسين الذين ينتمون إلى كنيسة السماء إلى معونتهم؛ وهـؤلاء، إذ يقفـون على أعلى درجات القرب من الله، بصـلواتهم وشـفاعاتهم، يطهـرون ويقـوون ويقـدمون أمـام الله صـلوات المؤمـنين الذين يعيشـون على الأرض، وبمشـيئة الله يعملـون بلطـف وإحسـان، إمـا عن طريـق الفضـيلة غـير المرئيـة، أو الظهورات المتميزة، كما بطرق أخرى متنوعة.

٢٦٤. ما هو أساس قانون استدعاء الكنيسة على الأرض لقديسيها في السماء عِبر الصلاة؟

ما ينبغي أن نراه هو أن مبدأ التقليد المقدس هو في الكتـاب المقـدس. على سـبيل المثـال، عنـدما صـرخ النـبي داود في الصلاة " يَا رَبُّ إِلهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْـرَائِيلَ آبَائِنَـا، احْفَظْ هـذِهِ إِلَى الأَبَـدِ فِي تَصَـوُّرِ أَفْكَـارِ قُلُـوبِ شَعْبِكَ، وَأَعِدَّ قُلُوبَهُمْ نَحْوَكَ" (أخبار الأيام الأول ١٨:٢٩)، فإنه يدعو القديسـين لمسـاعدته في صـلاته، تمامـاً كما تدعو الكنيسة الأرثوذكسية الآن المسيح إلهنا الحقيقي، بصلوات أمه الطاهرة وجميع قديسيه.

يقول كيرلس الأورشليمي في شرحه للقداس الإلهي: نذكر أيضاً أولئك الذين رحلوا، أولاً من البطاركـة والأنبيـاء والرسل والشهداء، لكي يتقبل الله صلواتنا بتضرعاتهم وشفاعتهم. (Cat. Myst. v. c. 9.)

يقول باسيليوس الكبير في خطبته عن الأربعين شهيداً: من ابتلى اسـتعان بـالأربعين، ومن فـرح يـركض إليهم؛ الأول ليرتاح من أحزانه، والآخر ليحافظ على سعادته. وهنا تُرى الزوجة المتدينة وهي تصلي من أجل أولادهـا، فهل هذا صحيح؟ وأخرى تطلب عودة زوجها الغائب. آخر يطلب استعادة الصحة للمرضى. نعم؛ لتكن توسلاتك مع الشهداء.

٢٦٥. هل في الكتاب المقدس أي شهادة عن صلاة القديسين في السماء؟

رأى الإنجيلي يوحنا في سفر الرؤيا ملاكاً في السماء، أعطي له بخور كثـير، ليقدمـه بصـلوات جميـع القديسـين على المذبح الذهبي الذي أمام العرش. وصعد دخان البخور بصلوات القديسين من أيدي الملاك امام الله. (أنظر رؤيا ٣:٨-٤).

٢٦٦. هل في الكتاب المقدس أي شهادة على الظهورات الحسنة لقديسين من السماء؟

يروي القديس متى الإنجيلي أنه بعد موت ربنا يسوع المسيح على الصليب قامت أجساد كثـيرة من القديسـين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا للكثيرين. (مـتى ٥٢:٢٧-٥٣). وبمـا أن معجزة عظيمة لا يمكن أن تكون بـدون نهايـة مناسـبة، يجب أن نفـترض أن القديسـين الـذين قـاموا بعـد ذلـك ظهروا ليعلنوا نزول يسوع المسيح إلى الجحيم وقيامته الغالبـة. وهكـذا تحـرك الرجـال المولـودين في كنيسـة العهد القديم ليعبروا بسهولة أكبر إلى كنيسة العهد الجديد التي كانت قد فُتحَت في حينه.

٢٦٧- ما هي الشهادات التي تؤكد لنا الاعتقـاد بـأن القديسـين، بعـد رقـادهم، يصـنعون المعجـزات بوسـائل أرضية معينة؟

يشهد سـفر الملـوك الثـاني (الرابـع في اليونانيـة) أنـه بلمس عظـام النـبي أليشـع أقيم رجـل ميت.(٢(٤) ملـوك ٢١:١٣).

الرسول بولس لم يصنع فقط في شخصه المباشر الشفاء والمعجزات، بل حدث هذا الأمر نفسه في غيابه عن طريق المناديل والمآزر المأخوذة عن جسده (أعمال ١٢:١٩). بهذا المثل نفهم أن القديسين، حتى بعد رقادهم، قد يعملون بشكل جيد من خلال الوسائل الأرضية، التي تنقل منهم فضيلة مقدسة.

يقول غريغوريوس الإلهي في خطابه الأول ضد يوليانوس: إنك لم تخجل من الذبائح المقدمة من أجل المسيح، ولا تخشى المجاهدين الكبار، يوحنا وبطرس وبولس ويعقوب واستفانس ولوقا وأندراوس وتقلا وغيرهم. الذين قبل هؤلاء وبعدهم تألموا من أجل الحق؛ الذين صمدوا أمام النار والسيف والجلادين وجميع المعاناة الحاضرة أو المهددة، وكأن أجسادهم ليست أجسادهم، أو كأنهم كانوا بلا أجساد على الإطلاق. لماذا؟ حتى لا يخونوا إيمانهم بكلمة واحدة. لهم تُمنح أيضاً الأوسمة والانتصارات العظيمة بعقلٍ عادل: الذين يُطردون الشياطين ويشفون الأمراض، الذين يظهرون في الرؤى والنبوءة، الذين أجسادهم، وإن كانت منفصلة، عند لمسها أو توقيرها، لها نفس القوة كأرواحهم المقدسة؛ ولقطرات دمائهم، وهي أقل علامات معاناتهم، نفس قوة أجسادهم.

هكذا يكتب القديس يوحنا الدمشقي: لقد أعطانا ربنا يسوع المسيح ذخائر القديسين كينابيع مفيدة تنبع منها البركات المتنوعة. وإذ يشرح ذلك، يلاحظ، أنه بالعقل كانت أجسادهم أيضًا مسكونة من الله. (Theol. lib. iv. Cap. 15، 3، 4.)

٢٦٨. لماذا الكنيسة مقدسة؟

لأن يسوع المسيح قدّسها بآلامه وعقيدته وصلاته والأسرار. "أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ، لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ" (أفسس٥:٢٥-٢٧).

في صلاته إلى الله الآب من أجل المؤمنين، قال يسوع المسيح من بين أشياء أخرى: "قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلاَمُكَ هُوَ حَقٌّ. كَمَا أَرْسَلْتَنِي إِلَى الْعَالَمِ أَرْسَلْتُهُمْ أَنَا إِلَى الْعَالَمِ، وَلأَجْلِهِمْ أُقَدِّسُ أَنَا ذَاتِي، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا مُقَدَّسِينَ فِي الْحَقِّ" (يوحنا١٧:١٧-١٩).

٢٦٩. كيف تكون الكنيسة مقدسة وهي تضمّ خطأة؟

إن البشر الذين يخطؤون ولكنهم يتطهرون بالتوبة الحقيقية، لا يَمنعون الكنيسة من أن تكون مقدسة؛ لكن الخطاة غير التائبين، إما بفعل منظور لسلطة الكنيسة، أو بحكم الله غير المنظور، يُقطعون من جسد الكنيسة؛ ولذا هي تبقى أيضاً مقدسة. " فَاعْزِلُوا الْخَبِيثَ مِنْ بَيْنِكُمْ" (١كورنثوس ٥:١٣). " لكِنَّ أَسَاسَ اللهِ الرَّاسِخَ قَدْ ثَبَتَ، إِذْ لَهُ هذَا الْخَتْمُ: «يَعْلَمُ الرَّبُّ الَّذِينَ هُمْ لَهُ». وَ«لْيَتَجَنَّبِ الإِثْمَ كُلُّ مَنْ يُسَمِّي اسْمَ الْمَسِيحِ»" (٢تيموثاوس ٢:١٩).

٢٧٠. لماذا تُدعى الكنيسة جامعة، أو ما هو الشيء نفسه عالمية؟

لأنها لا تقتصر على أي مكان ولا زمان ولا بشر، بل تضم مؤمنين حقيقيين من جميع الأماكن والأزمنة والشعوب. يقول الرسول بولس أن كلمة الإنجيل موجودة في كل العالم ومثمرة(كولوسي ١:٥-٦) ، وأنه لا

يوجد في الكنيسة المسيحية يوناني ولا يهودي، ختان ولا غرلة ، بربري ولا سكيثي، ولا عبودية ولا حر: ولكن المسيح هو الكل وفي الكل. (كولوسي ٣:١١) " الَّذِينَ هُمْ مِنَ الإِيمَانِ يَتَبَارَكُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤْمِنِ" (غلاطية ٣:٩).

٢٧١. ما هو امتياز الكنيسة الجامعة العظيم؟

هي وحدها لديها الوعود السامية بأن أبواب الجحيم لن تقوى عليها؛ ان الرب يكون معها الى اقصى المسكونة. أن يثبت فيها مجد الله في المسيح يسوع إلى جميع الأجيال إلى الأبد. وبالتالي لن ترتد أبداً عن الإيمان ولا تخطئ في حق الإيمان أو تقع في الخطأ.

لا شك في أننا نعترف، كحقيقة أكيدة، بأن الكنيسة الجامعة لا يمكن أن تخطأ، ولا أن تخطئ، ولا أن تنطق بالكذب بدلاً من الحق؛ لأن الروح القدس الذي يعمل دائمًا من خلال خدامه الأمناء آباء ومعلمي الكنيسة، يحفظها من كل ضلال. (رسالة البطاركة الشرقيين حول الإيمان الأرثوذكسي، المادة ١٢.)

٢٧٢. إذا كانت الكنيسة الجامعة تضم جميع المؤمنين الحقيقيين في العالم، ألا يجب أن نعترف بأنه من الضروري للخلاص أن ينتمي إليها كل مؤمن؟

بالضبط. بما أن يسوع المسيح، على حد تعبير القديس بولس، هو رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد، فإن ذلك يعني أنه لكي يكون لنا نصيب في خلاصه، يجب أن نكون أعضاءً في جسده، أي. الكنيسة الجامعة. (أفسس ٥:٢٣).

يكتب الرسول بطرس أن المعمودية تخلصنا على مثال فلك نوح. كل الذين نجوا من الطوفان العام خلصوا في الفلك فقط. لذا فإن كل الذين ينالون الخلاص الأبدي يحصلون عليه فقط في الكنيسة الجامعة الواحدة.

٢٧٣. ما هي الأفكار والتذكارات التي يجب أن نربطها باسم الكنيسة الشرقية؟

في الفردوس المغروسة في الشرق، تأسست كنيسة والدَينا الأولى في البراءة؛ وفي الشرق، بعد السقوط، أُرسي أساس جديد لكنيسة المفتَدين، بحسب وعد المخلص. في الشرق، في أرض اليهودية، بعد أن أنهى ربنا يسوع المسيح عمل خلاصنا، أرسى أساس كنيسته المسيحية الخاصة: من هناك انتشرت إلى الكون كله. وحتى يومنا هذا، فإن الإيمان الأرثوذكسي الجامع المستقيم، الذي أكدته المجامع المسكونية السبعة، محفوظ على حاله في نقائه الأصلي في كنائس الشرق القديمة، كما في الكنيسة الروسية التي تتوافق معهم بنعمة الله.

٢٧٤. لماذا تُدعى الكنيسة رسولية؟

لأنها من الرسل، دون انقطاع أو تغيير، في كل من عقيدتها وتسلسل مواهب الروح القدس، بوضع الأيدي المكرّسة. وبنفس المعنى، تُدعى الكنيسة أيضاً أرثوذكسية، أو مؤمنة عن حق. " فَلَسْتُمْ إِذًا بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلًا، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ، مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ" (أفسس ٢:١٩-٢٠).

٢٧٥. ماذا يعلّمنا قانون الإيمان عندما يدعو الكنيسة رسولية؟

إنه يعلمنا التمسك بالعقيدة الرسولية والتقليد، ونبذ العقيدة والمعلمين الذين لا يوافقون عقيدة الرسل. يقول الرسول بولس: "فَاثْبُتُوا إِذًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ وَتَمَسَّكُوا بِالتَّعَالِيمِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا، سَوَاءٌ كَانَ بِالْكَلاَمِ أَمْ بِرِسَالَتِنَا" (٢ تسالونيكي ١٥:٢)."اَلرَّجُلُ الْمُبْتَدِعُ بَعْدَ الإِنْذَارِ مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ، أَعْرِضْ عَنْهُ" (تيطس ١٠:٣). " فَإِنَّهُ يُوجَدُ كَثِيرُونَ مُتَمَرِّدِينَ يَتَكَلَّمُونَ بِالْبَاطِلِ، وَيَخْدَعُونَ الْعُقُولَ، وَلاَ سِيَّمَا الَّذِينَ مِنَ الْخِتَانِ، الَّذِينَ يَجِبُ سَدُّ أَفْوَاهِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَقْلِبُونَ بُيُوتًا بِجُمْلَتِهَا، مُعَلِّمِينَ مَا لاَ يَجِبُ، مِنْ أَجْلِ الرِّبْحِ الْقَبِيحِ" (تيطس١:١٠-١١). " وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ وَالْعَشَّارِ" (متى ١٧:١٨).

٢٧٦. ما هي المؤسسة الكنسية التي يتم من خلالها يُحفَظ تسلسل الخدمة الرسولية؟

التراتبية الهرمية الكنسية.

٢٧٧. من أين نشأت التراتبية الهرمية للكنيسة الأرثوذكسية؟

من يسوع المسيح نفسه، ومن نزول الروح القدس على الرسل؛ من ذلك الوقت تستمر التراتبية، في تتابع غير منقطع، بوضع الأيدي في سر الكهنوت. "وَهُوَ أَعْطَى الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلًا، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضَ مُبَشِّرِينَ، وَالْبَعْضَ رُعَاةً وَمُعَلِّمِينَ، لأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ" (أفسس٤:١١-١٢).

٢٧٨. ما هي السلطة الرئاسية القائمة التي يمكن أن توسع مجال عملها ليشمل الكنيسة الجامعة بأسرها؟

المجمع المسكوني.

٢٧٩.تحت أي سلطة رئاسية هم الأقسام الرئيسية للكنيسة الجامعة؟

البطاركة الأرثوذكس والمجمع المقدس.

٢٨٠. تحت أي سلطة كنسية هي الأقاليم والمدن الأرثوذكسية؟

المطارنة ورؤساء الأساقفة والأساقفة.

٢٨١. ما هي مرتبة المجمع الروسي المقدس في التراتبية الهرمية؟

نفس المرتبة مع البطاركة الأرثوذكس. (انظر رسائل البطاركة حول تأسيس المجمع المقدس).

٢٨٢. إذا أراد أحد أن يقوم بواجب طاعته للكنيسة، فكيف يمكنه أن يتعلم ما تطلبه من أبنائه؟

يمكن تعلم ذلك من الكتاب المقدس، من قوانين الرسل القديسين، والمجامع المسكونية والمحلية، والآباء القديسين، ومن كتب القواعد والترتيبات الكنسية.

القديس جراسيموس كاتب التسابيح

إعداد أسرة التراث الأرثوذكسي

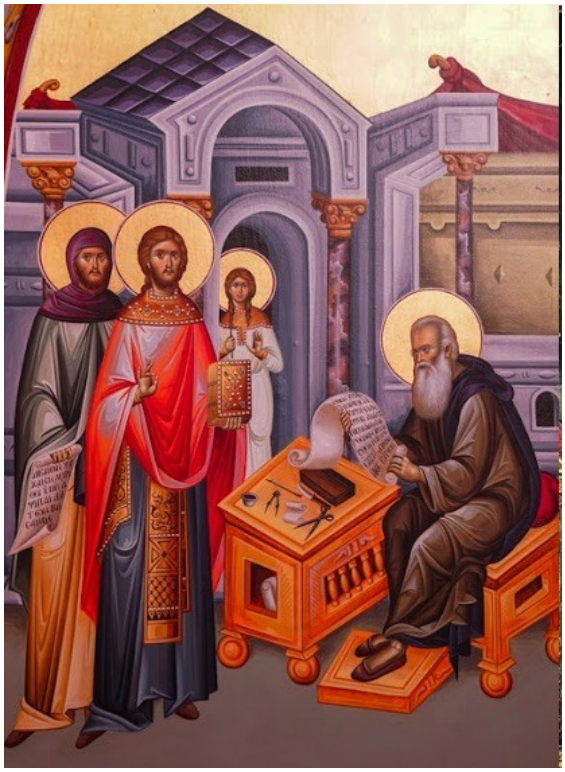

في جلسة العاشر من كانون الثاني ٢٠٢٣، أعلن مجمع كنيسة القسطنطينية قداسة الراهب جراسيموس كاتب التسابيح. لافت للانتباه نشاط مجمع القسطنطينية في إعلان القديسين في السنوات الأخيرة. يختلف القديس الجديد جراسيموس عن غيره بأن إعلان قداسته لم تسبقه أي تهيئة شعبية، فالقديسون الذين أعلنوا، ويعودون إلى نفس الفترة التي عاش فيها، كالقديس برصنوفيوس والقديس آفمانيوس وقبلهما القديسون باييسيوس وبورفيريوس وجاورجيوس كارسليذس، كانت قد نشأت بيئة تنتظر هذا الإعلان وبالتالي ترافق الإعلان مع نشر أيقونة وتبنّي خدمة وغيره، حتى في القرار المجمعي. في حالة القديس جراسيموس لم يتطرق المجمع إلى أي من الأمرين كما أن أي طروبارية أو أيقونة لم تكن منتشرة قبل إعلان المجمع.

مَن هو القديس الجديد؟

القديس الجديد جراسيموس هو راهب من اسقيط القديسة حنة الصغير. وُلِد في دروفياني في شمال إبيروس في ٥ أيلول ١٩٠٥ وسُمي أناستاسيوس. بدأ علومه في المدرسة الابتدائية في مسقط رأسه. مع نهاية المدرسة الابتدائية، كان على المراهق أناستاسيوس أن يغادر القرية ليستقر ويعمل بالقرب من والده في بيريا. لهذا اضطر إلى الابتعاد عن والدته وشقيقه الأصغر. استقر في البداية في بيريا، بالقرب من والده وعمته. ثم انتقلوا إلى أثينا حيث تابع دراسته في المدرسة الثانوية.

تمتع بحماس للدراسة مثير للإعجاب. تابع بعد المدرسة الثانوية دراسته في التعليم العالي اليوناني. إلى هذا، في أثينا، اعتنى أيضاً بحياته الروحية ملتزماً بالكنيسة. يتذكر هو نفسه: "كنت في رعية كنيسة القديس ديونيسيوس الأريوباجي. كنا نذهب بالعادة إلى شارع فاسيلي سوفياس، حيث كانت مدرسة ريزاريو القديمة، لأنها كانت قريبة. هناك كان نكتاريوس أسقف المدن الخمس، وقد قابلته".

في أثينا نشأت فكرة أن يصبح راهباً وفكّر في المغادرة مبكراً قبل أن يرتبط بأي التزامات أخرى. ولم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى تحقق من ميله. انتقل إلى جبل آثوس في ١٥ آب ١٩٢٣.

في جبل آثوس، التزم كطالب في إسقيط القديسة حنة، تحديداً في القديسة حنة الصغير، في قلاية السابق الإلهي، حيث كان الشيخ الأب ميليتيوس إيوانيديس من آسيا الصغرى. في هذا المكان المقفر والجاف والحاد والقاحل على اسم القديسة حنة، وجد الفرح الروحي المطلق وتحقيق حلم حياته. أدرك أنه صار بإمكانه أن يكرّس نفسه بشكل كامل

لممارسة الحياة الروحية ودراسة النصوص الكنسية المقدسة. في ٢٠ تشرين الأول ١٩٢٤ ، أثناء سهرانية القديس جراسيموس كيفالونيا، أصبح مبتدئاً، متخذاً اسم القديس صاحب العيد.

كان الراهب جيراسيموس متكيفاً تماماً مع حياته الجديدة، نموذجاً للطاعة والتواضع وكل فضيلة. إلى جانب أداء الخدم الرهبانية اليومية والدراسة، سلك الراهبان، الشيخ ميليتيوس والطالب جراسيموس، في حياتهما اليومية كبشر. كان الشيخ ميليتيوس يعرف جيداً ويمارس منذ سنوات فن صنع الأختام المنقوشة بالخشب المستخدمة في تحضير القرابين للقداس الإلهي. بالقرب منه، تعلم الراهب الشاب جيراسيموس أيضاً هذا الفن الذي مارسه. ومع ذلك، فإنه كان مفتوناً بالأدب. يخبرنا عن ذلك: "هنا عندما أتيت، قمت بتنمية معرفتي وتلخيصها. الكتّاب القدامى، أشبعتهم جميعاً قراءة، واستوعبتهم كلهم".

بعد مرور بضع سنوات، غادر الشيخ ميليتوس إلى أثينا تاركاً الراهب الجديد جيراسيموس وحيداً. يقع منسك السابق تحت منسك رقاد السيدة العذراء حيث كان يعيش الشيخ أبيمالك الناسك (١٩٦٥). في عام ١٩٤٦، انضمّ إليه الكاهن الراهب ديونيسيوس، الذي كان الأب جيراسيموس مرتبطاً به ومن ثمّ، في عام ١٩٦٦ انضموا في جماعة واحدة. بنى الراهب جيراسيموس كنيسة القديسَين ديونيسيوس الخطيب ومتروفانس.

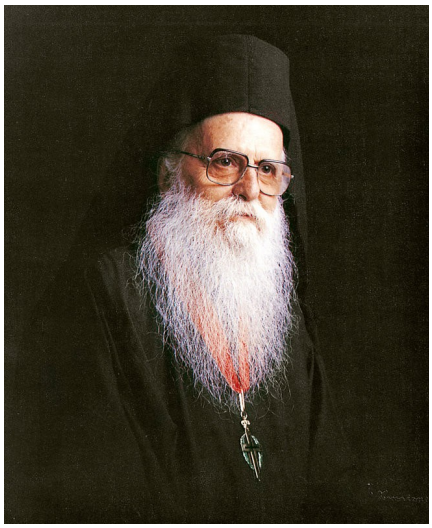

من الأمور التي اشتهر بها الشيخ جيراسيموس هي الضيافة، وقد بث هذه الروح في تابعيه. والجدير بالذكر أن حياته النسكية واعتزاله لم يؤثرا بأي شكل من الأشكال على اجتماعيته. كان الزوار العلمانيون يأتون إليه دائماً ويغادرون مستفيدين ومأخوذين بحديثه الذي كان دائماً دقيقاً. كان حكيماً في ردوده، ويتجنب بشكل منهجي المناقشات والثرثرة التي تأتي في وقت غير مناسب. لطالما سعى إلى الصمت الذي اعتبره "أم المفاهيم الحكيمة".

كان الزوار من العلمانيين والكهنة والرهبان. كلهم كانوا يجيئون لنفس الغرض: الاستماع إلى الشيخ والاستفادة الروحية والتعلم من حياته الفاضلة. قضى حياته ملتزماً الخدمة الرهبانية. كان ضابط تيبيكون الكنيسة الرئيسية في منسك القديسة حنة. كما شارك كأمين مكتبة في تجميع ونشر فهرس مخطوطات مكتبة الإسقيط الرئيسية. وبهذه الصفة ساعد العديد من العلماء في العثور على نسخ من المخطوطات والحصول عليها. كما أنه كتب هو نفسه دراسات ومقالات قيّمة.

الراهب جراسيموس كاتب تسابيح من دير القديسة حنة الصغير هو أحد الحالات النادرة بين ناظمي التسابيح، حيث أن غالبية كتاباته كانت تُستخدَم على الفور في الحياة الليتورجية في الكنيسة. يمكن الوصول إلى معظم أعماله، على الرغم من أنه لم يُنشَر إلا جزء صغير منها فقط. وذلك لأن العديد من الخدم يتم تداولها على نطاق واسع في نسخ مطبوعة ومصوّرة.

كان الأب جراسيموس يعتبر الترتيل امتداداً للصلاة والتواصل مع الله والقديسين: "إن القديس أمامي. لهذا السبب لا أريد التواصل مع أي شخص آخر. التسبيح، هذا العمل الروحي، هو اتحاد الروح بالله. إنه صلاة بديعة، تأمّل للعقل، نظرية سرية. إنه لغز لا يتم تفسيره ولا تخريجه بالأفكار. التسبيح هو الفلسفة الضمنية التي لا تعبّر عن نفسها بالكلمات. على الإنسان أن يختبر التسبيح لكي يشعر به".

حتى وفاته، احتفظ كاتب التسابيح العظيم بنشاطه وقوته، ولم يواجه أي مشاكل صحية، باستثناء ضعف السمع الذي ظهر خلال السنوات الأخيرة من حياته وأزعجه. عاش كرجل مدبّر، منضبط، ناسك، حياتـه مكرسـة لمجد الله وخدمة الناس. كرّمته البطريركية ورسمته "كاتب تسابيح كنيسة المسيح المقدسة".

الهدوء بدون تكنولوجيا

الأب أفسافيوس فيتتيس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

أتريد السلام والهدوء في الغابة؟ لا تجلب تكنولوجيا معك!

إنسان اليوم يخاف الوحدة. لا يمكنه أن يكون بمفرده. إنه خائف، حتى في المدن المكتظة بالسكان وفي القرى وفي الريف. حقيقة غريبة: إذا كنت ستذهب إلى الغابة، يا أخي، فلماذا لا "تتخلى" عن هاتفك الخلوي أو الراديو أو التلفزيون؟ اذهب إلى هناك لتذوق العزلة! ركّز على أصوات حفيف أوراق الشجر وأصوات العصافير وخرير الينبوع... سوف تسمع أصوات صفير الهواء إذ يعبر الأشجار، منقيّاً ومنعشاً، فيبدأ بالغناء وهو يمر عبر الأغصان، (طالما أنه ليس عاصفة أو إعصاراً بل نسيم لطيف يذكرنا بالله).

يخاف الإنسان من البقاء وحيداً، لأنه لا يحمل معه المسيح. حتى أعظم النسّاك ليس وحده بالمعنى الحرفي. يسأل الكثير من الناس: "كيف تسلك بدون تلفزيون؟" بالمقابل أسألهم: "كيف تسلكون بدون أي عزلة؟ بدون سلام وهدوء؟"

لنأخذ لحظة للتفكير في العزلة والسكون والهدوء والصمت، حيث يوجد درس كبير لنتعلمه...

نحن ببساطة لا يمكننا أن نظل هادئين في العالم دون أن يبدأ نهر من الكلام في التدفق. حتى في الأماكن حيث ينبغي احترام الهدوء، كالكنائس، لا يمكننا البقاء صامتين؛ هناك لا محالة طنين ثابت لأصوات رواد الكنيسة، كما لو كانوا في ساحة عامة، طبعاً قبل بدء القداس وليس أثناءه!

الصمت هو عكس الكلام. الإنسان كائن عقلاني؛ الأحاديث الداخلية أيضاً يمكن أن تشكل أقوالاً منسّقة، أي الكلام. لكن في كثير من الأحيان، يصبح الكلام دفقاً لا يمكن إيقافه، أي ثرثرة محضة قد تكون متعبة للغاية، كلاماً فارغاً غير بنّاء ينقصه المحتوى، لا كلاماً غنياً يرويه الروح الإلهي.

الكلام موهبة. لكن في بعض الأحيان يصبح تعذيباً يدفع الآخرين إلى القول: "ألا يتوقف هذا الشخص أبداً؟ هناك وقت للكلام ووقت للصمت". متى يكون ذلك؟ يصعب التحديد.

لنرَ كيف يصف الآباء القديسون هذا الواقع في عظاتهم، فهم قد عاشوا أنفسهم بلا ضوضاء وبصمت. لنسعَ أن نأخذ منهم طرقاً لتعلّم الأشياء التي يريدها الرب منا بصمت.

بالطبع، نحن لا نشير إلى الحالات التي يصمت فيها بعض الأشخاص عندما يتعرضون للإهانة، أو يتشاجرون، أو يغضبون، أو يغارون، أو يتمرمرون، أو يتألمون بشدّة، أو يجزعون، أو يكرهون. يصمت البعض عندما يعِدّون سراً نوايا خبيثة ولا يتكلمون. إن حالات الصمت هذه لا تمثّل الفضيلة.

نحن "لا وقت لدينا" للتركيز على أعماق ذواتنا، ولهذا السبب، أثناء الاعتراف، عندما نسجد للرب أمام أبينا الروحي كشاهد، يكون اعترافنا ناقصاً؛ إنه لا يؤتي ثماره لأننا لم نتعلم أبداً كيفية ممارسة الصمت الداخلي.

"الفضيلة سكوت الكلام" كما يقول الآباء. الصمت الروحي هو الذي يبدأ من الداخل ثم ينتقل إلى الخارج. إذا لم يكن الداخل صامتاً، أي الإنسان الداخلي والعالم الداخلي، إذا كان هناك دوّامة بسبب الأهواء، مثل الانغماس في الذات والبخل والحسد والجشع، إلخ، فلا يمكن أن نظلّ هادئين، بل سوف ينخزنا داخلُنا...

عندما يكون هناك روح انتقام، عندما تعتقد أنه قد أسيء فهمك، وأن الآخرين افتروا عليك، فإنك تميل إلى الكلام باستمرار، والانخراط في كل ما يدور من حولك وتصبح في نهاية المطاف صاخباً. الصمت الروحي فضيلة تساعدنا في الاستخدام المتوازن للألفاظ المتسّقة وفي الهدوء غير الناطق. الصمت فرصة للتحدث مع النفس. نحن لا نمنح أنفسنا هذه الفرصة يا إخوتي، كما أننا لا نبحث عن فرصة لاكتشاف مَن نحن: "هذا أنا... هكذا أنا...". لكن هذا لا يمكن أن يتمّ إلا بهدوء وليس على عجل.

الصمت يفترض النسك. والنسك يفترض الاعتزال. لكن أين يمكننا أن نجد العزلة، فيما لا تتوقف الضوضاء أبداً في المدن التي نعيش فيها؟ حسناً، حتى لو لم نتمكن من الحصول على صمت مستمر كالنسّاك، يمكننا إنشاء مناطق صمت: يمكننا تخصيص ١٥ إلى ٢٠ دقيقة في برنامجنا اليومي لنقول لأنفسنا: "الآن، يمكنني أن أصمت". عندما يكون أطفالنا بعيداً، يجب أن نسعى أيضاً إلى الصمت من خلال إطفاء أجهزة التلفزيون التي لا تعدو كونها مجرد غازِيَة لمنازلنا، والتي تظهِر أيضاً عدم احترام للإنسان. لذا، فلننشئ مناطق صمت، على قدر استطاعتنا، على الأقل من الدرجة البدائية.

لنرَ الآن ما يقوله الآباء القديسون في هذا الشأن:

يكتب المبارك نيكيتا ستيثاتوس: "عدم الانشغال بالأحداث والأشياء البشرية هو هدوء روحي". هذا الهدوء يحرر الروح من قيود الحواس والأهواء. من خلال تحويل قوى الروح، نعيدها إلى حالتها الطبيعية، أي نعود إلى الطريقة التي خلقنا بها الرب. نحن نعيش حالياً بشكل غير طبيعي. نحن نميل إلى الطبيعي، لكي نصل إلى ما فوق الطبيعي بنعمة الله التي تسمو على كل ما نحن عليه الآن.

يقول قديس آخر: "الهدوء حالة ذهنية؛ إنه سلام الحرية الداخلية، روح مبتهجة، روح لا يزعجها أي شيء. إنها المعرفة الأعمق لسر الله، إنها الرفقة مع الله، إنها التحدث إلى الله، الاتحاد والارتباط الوثيق بالله".

إن لم يكن هذا موجوداً، فنحن لا نفعل شيئاً؛ بمعنى آخر، الهدوء ليس مجرد عرض خارجي، بل هو أيضاً وظيفة داخلية. في غياب ذلك، سيكون لدينا مساحة شاغرة فينا يجب ملؤها. عندما لا يكون هناك ارتباط داخلي بالرب، فقد يبدو الهدوء شيئاً أحمقاً بالنسبة للكثيرين.

يقول القديس ثالاسيوس: "اعزلوا أحاسيسكم في حصن الهدوء حتى لا تسببوا تشتتاً بسبب رغباتكم، أو بتعبير آخر، "رغباتكم التي لا تنقطع."

يقول القديس باسيليوس: "في الحياة تركت علاقاتي مع العالم لأنها كانت سياقاً لعدد لا يحصى من الشرور. لكن لم يكن من الممكن التخلي عن نفسي". في الواقع، عندما نجد أنفسنا في سوق صاخب للغاية، حتى عندما نعود إلى المنزل، يبقى صدى الضوضاء يتردد في آذاننا، ولهذا السبب يجب أن يكون الجهد من أجل الهدوء مستمراً.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: "هناك حالات يفيد فيها الصمت أكثر من الكلمات - والعكس صحيح. أي، سيكون هناك وقت تتكلم فيه: على سبيل المثال، عندما تكون على وشك إنقاذ شخص ما فإنك تقطع الصمت". "الصمت الموافق ينتج ذرية لائقة: تعفف، محبة، صلاة طاهرة."

ما هي "الصلاة الطاهرة"؟ إنها صلاة بلا تأملات ولا تشتت. على سبيل المثال، عندما أبدأ في ترديد الصلاة الربّية... "أبانا..." ينجرف تفكيري إلى الإيجار الذي عليّ دفعه؛ ثم، "الذي في السماوات..." أفكر بفاتورة الكهرباء... أو بأنّ ما قاله الجار ذلك اليوم يجعلني أرتجف من الغضب... إلخ. حسناً، صلاتي تدمّرت! ذهبت الأبانا! طار الهدوء! لا ينبغي أن يصلّي الإنسان وهو متضايق من شيء ما؛ يجب عليه أولاً أن يهدأ. عند دخول المنزل، فإننا لا ندخل إلى أجزائه الخاصة (أي غرفة النوم) مباشرة؛ عادة ما نمر عبر الرواق أولاً، ثم الممر... كل شيء يتطلب بعض الاستعداد - خاصة في الصلاة. إن لم أكن هادئاً ومستعداً، علي أن أقرأ في كتاب روحي، وأجهز نفسي، ثم أتحدث مع الله.

"الهدوء والصلاة والمحبة والاعتدال يشكلان العربة ذات الأربع عجلات التي تقود إلى السماء"، أي عربة بأربع عجلات ترفع العقل إلى السماء.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: "كثير من الأشياء كان من الممكن أن تعيق بيلاطس واليهود: المعجزات، تسامح المسيح؛ ولكن قبل كل شيء، كان صمته الذي لا يوصف". حبذا لو يستطيع الإنسان أن يبقى صامتاً مثل الرب! "بقي يسوع صامتاً"، حتى في أصعب اللحظات! وهكذا، فإن طويل الأناة، والمتسامح، والذين يعرفون كيف يصمتون سيكونون آمنين عند السير بثبات على طريقهم، وسيكونون أيضاً محبوبين من الجميع.

Source: Fr. Efsevios Vittis. Want to find peace and quiet in a forest? Don't bring technology with you! Translated by: K. N. Orthodox Outlet for Dogmatic Enquiries. 28-6-2022. http://adontes.blogspot.com/2022/06/a_24.html

اللاهوت الأخلاقي، الفصل الرابع

الميتروبوليت فيلاريت فوزنسنسكي

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

حول: الفضائل المسيحية. الشخصية الأخلاقية. حياة المسيحي كجهاد وعمل نسكي. ضرورة اليقظة الروحية.

هدف حياة كل شخص هو أن يعدّ نفسه للخلاص الأبدي والطوبى. يجب أن يعيش الإنسان قديساً بلا لوم، بمعنى آخر، بحسب مشيئة الله.

كيف يمكن للمرء أن يدرك إرادة الله؟ أولاً، في ضميره الذي يُدعى صوت الله في نفس الإنسان. إذا لم يظلِم الوقوعُ في الخطيئة نفس الإنسان، فإنه يقدر على توجيه مسار حياته بشكل معصوم وحازم من خلال إملاءات ضميره، والتي من خلالها يُنقل القانون الأخلاقي الداخلي. من المعروف أن التَلَف عند الإنسان الخاطئ ليس في عقله وقلبه وإرادته فحسب، بل أن ضميره مظلم أيضاً؛ إذ أن حكمه وصوته فقدا وضوحهما وقوتهما غير المشروطين. لذلك يقال عن بعض الناس أنهم بلا ضمير.

الضمير وحده، صوته الداخلي، أصبح غير كافٍ للإنسان ليعيش ويعمل وفقاً لمشيئة الله. لقد نشأت الضرورة لوجود سلطة خارجية، لقانون خارجي موحى به إلهياً. هذا النوع من الشريعة أعطاه الله للناس في شكلين: أولاً، ناموس تحضيري هو شريعة العهد القديم لموسى، وثانياً، ناموس العهد الجديد التامّ والكامل.

ينبغي التمييز بين جانبين: ١) الأخلاق الدينية و ٢) الطقوس الدينية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ وثقافة الأمة اليهودية. الجانب الثاني، بالطبع، قد تلاشى بالنسبة لنا نحن المسيحيين. لقد تراجعت هذه الممارسات والقوانين الشعبية والتقليدية. لكن ناموس موسى الأخلاقي الديني حافظ على قوته داخل المسيحية. هذا هو السبب في أن كل وصايا موسى العشر إلزامية للمسيحيين وسبب أن المسيحية لم تلغِها. على العكس من ذلك، المسيحية علّمت الناس أن يفهموا هذه الوصايا ليس خارجياً وحرفياً، في تقليد الطاعة العمياء والعبودية والالتزام الخارجي فقط، بل هي كشفت عن معناها العميق وعلمت الفهم الكامل والكمال لهذا القانون والوفاء به. لكن بالطبع، بالنسبة لنا كمسيحيين، فإن معنى شريعة موسى ينبثق فقط من أن وصاياها الرئيسية (الوصايا العشر ووصية محبة الله والقريب) تقبلها المسيحية وتعلنها. نحن لا ترشدنا قوانين موسى التحضيرية والمؤقتة، بل قانون المسيح الكامل والأبدي.

قال القديس باسيليوس الكبير: "إذا كان مَن يحرق نوراً أمام نفسه في ضوء الشمس مضحكاً، فمن الأفضل أن يظل في الظل القانوني (للعهد القديم) أثناء سماع عظات العهد الجديد." إن أهم فرق بين قانون العهدين القديم والجديد هو أن العهد القديم اعتبر الأفعال الخارجية للإنسان، بينما يعتبر العهد الجديد قلب الإنسان، أي دوافعه الداخلية. في العهد القديم أخضع الإنسان نفسه لله عبداً لربه. في العهد الجديد، يسعى جاهداً ليُخضع نفسه، مثل ابن لأبيه الحبيب. في الوقت الحاضر، ينظر الكثيرون إلى العهد القديم بشكل غير صحيح.

لا يرون فيه شيئاً جيداً، يبحثون فقط عن سمات وقحة وقاسية. هذا رأي خاطئ. من الضروري أن نتذكر المستوى الأولي للتطور الروحي لدى الناس في ذلك الوقت، منذ آلاف السنين. في ظل هذه الظروف من العادات المضطربة والقاسية، لم تكن قواعد ومعايير شريعة موسى، والتي تبدو قاسية بالنسبة لنا اليوم، (أي "العين بالعين ، والسن بالسن" ، إلخ) لم تكن كذلك في الواقع. لم تدمر هذه القوانين القسوة والانتقام البشريين بالطبع (لا يمكن القيام بذلك إلا عن طريق العهد الجديد)، لكنها سيطرت عليهما ووضعت حدوداً محكَمة وصارمة. إلى هذا، لا ينبغي أن ننسى أن وصية محبة الله والقريب، والتي اعتبرها ربنا الأهم، قد أخذها من شريعة موسى (مرقس ١٢:٢٩-٣١). يكتب الرسول بولس، لذلك الناموس مقدس، والوصية مقدسة وعادلة وصالحة (رومية ٧:١٢).

Source: Metropolitan Philaret (Vosnesensky). Moral Theology, Chapter ٣. Parish Life, December ٢٠٢١. Russian Orthodox Cathedral of St. John the Baptist. ١٢/٩/٢٠٢١. https://orthochristian.com/١٤٣٣٣٣.html

الأزمة الاقتصادية العالمية
من وجهة نظر إيماننا المسيحي الأرثوذكسي

مكتب الهرطقات والبدع، أبرشية بيريه

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

في الأشهر الأخيرة، ابتُليَت البشرية بأسرها بأزمة اقتصادية غير مسبوقة. في وقت كان فيه الاقتصاد الرأسمالي العالمي منتصراً، والعالم ينتظر نتائج الاقتصاد "الحر" التي ستجلب للبشرية الرخاء والنعيم المرغوبَين، فإذ بكل شيء ينهار فجأة مثلَ برجٍ ورقي.

في البداية، جاءت جائحة الفيروس التاجي الرهيب "من العدم" لتمزيق النسيج الاجتماعي وضرب الاقتصاد العالمي بشدة. ثم جاءت حرب الأشقاء في أوكرانيا الشهيدة، لإنهاء البشرية وتقريبها من دمار كارثةٍ نووية محتملة! شبح الركود العالمي يلوح في أفق العالم ومعه شبح المجاعة، ويغمر القلق الملايين من الناس الذين يعانون من الخوف من البطالة وعدم اليقين والموت بسبب الجوع.

بحسب تحليلات الخبراء، فإن أزمة الطاقة هي السبب الرئيسي للأزمة الاقتصادية. لقد أدى نقص الغاز والكهرباء في أوروبا الغربية إلى إغلاق آلاف الشركات، في حين أن البطالة آخذة في التضاعف، والتضخم آخذ في الارتفاع. لقد أدى نقص الكهرباء والغاز الطبيعي ثلاث أو أربع مرات إلى اليأس لدى المواطنين والشركات الأوروبية، في حين يُتوقع أن يكون الشتاء القادم أسوأ من شتاءات الحرب العالمية الثانية. بشكل عام، يُنظَر إلى الوضع كأكثر من مأساوي، فيما يؤكد لنا الخبراء أن الأسوأ لم يأتِ بعد.

نحن، كاتبو هذا التقرير، لسنا سياسيين ولا اقتصاديين ولا خبراء دوليين لتحليل العوامل السياسية والاقتصادية والجيواستراتيجية للأزمة غير المسبوقة، ولا نقوم بتنبؤات عشوائية حول المستقبل.

في السطور التالية سنحاول بإيجاز شديد إبراز بُعدٍ آخر للأزمة الاقتصادية الحديثة غير المسبوقة، يختلف عن بُعد السياسيين والاقتصاديين. سنحاول تناول الأمر من وجهة نظر إيماننا المسيحي الأرثوذكسي، الذي لا يقتصر فقط على "واجباتنا الدينية"، كما يعلّم الهراطقة، بل يشمل حياتنا كلها كمسيحيين أرثوذكسيين. وهذا لأننا نعتقد أنه إذا طَبّقت الأمم والشعوب تعليمَ كنيستنا الاجتماعي على نطاق واسع، فإن معظم المشاكل الاجتماعية ستُحَلّ، كالفقر والبطالة واستغلال الضعفاء والظلم الاجتماعي وتراكم الثروة في أيدي قلة معينة، إلخ.

بحسب تعليم كنيستنا، إن وجود الخطيئة في العالم هو البداية والسبب الأصلي لكل الشرور (وحتى الموت) التي عذّبت وتعذب الجنس البشري من الماضي البعيد إلى اليوم. لقد خلق خالق العالم، إله المحبة والكمال، خليقته "حسنة جداً" (تكوين ١:٣١)، بدون عيوب، ووهبها القوى والإمكانيات حتى لا يكون هناك تنافر.

أما أنبل مخلوقاته، الإنسان، فقد خُلق ليعيش في الفردوس ويتمتع بعطايا الله التي لا تنضب. خلق الله الزوجَين البشريين الأولين، آدم وحواء على صورته، وقد ارتقوا تدريجياً من الصورة إلى المثال. ومع ذلك، فقد

كان الشرط الضروري بالنسبة لهما لتحقيق غايتهما (الوصول إلى التألّه) هو الطاعة للوصية المحددة التي تلقياها من الله، والتي من خلالها يمكنهما وحدهما (بظن في غلط هون، بركي بالأصل: بالطاعة وحدها؟) أن يكونا في شركة محبة مستمرة مع الله وبينهما.

وعليه، كل إنسان يأتي إلى هذا العالم مدعو في فضاء الكنيسة إلى تحقيق مصيره بطاعة إرادة الله، بحيث يكون بطاعته ومشاركته في أسرار الكنيسة في شركة محبة دائمة مع الله، ولكن أيضاً مع أعضاء الكنيسة الآخرين.

الأشخاص البشريون، كأعضاء في الكنيسة، مدعوون إلى نبذ أنانيتهم وتمركزهم حول الذات، وأن يصبحوا إخوة في ما بينهم، ويشعروا بأعضاء نفس الجسد [أي الكنيسة، جسد المسيح، وأبناؤها هم الأعضاء]، والارتقاء إلى صورة حقيقية للمجتمع الفائق الكمال، مجتمع الأقانيم الإلهية في الثالوث الأقدس. لم يعد الإنسان الجديد والمتجدد في المسيح هو الكائن السياسي الأرسطي [الذي حكى عنه أرسطو]، بل هو الصورة اللاهوتية المواهبية للإله الثالوث المقدس. تتحول علاقة الإنسان إلى علاقة محبة كانعكاس لمحبة الأقانيم الإلهية في الثالوث الأقدس.

يشعر الإنسان الجديد في المسيح، إذ ينبذ محبته لذاته، أن كل خيرات العالم المحيط به هي هدايا كاملة ومُعطاة بغنى للإنسان "من أبي الأنوار" (يعقوب ١٧:١)، للجميع، للاستمتاع على قدم المساواة، الشمس والمطر والماء وخصوبة الأرض والموارد والهيدروكربونات الموجودة تحت البحار والنباتات والحيوانات، إلخ.، موجودة بالتساوي للجميع، "العادل والظالم" (متى ٤٥:٥)، وليس من حق أي مرءٍ أن يغتصبها لنفسه بأنانية. الأشخاص البشريون هم متلقّون إفخارستياً لهذه المواهب الجماعية وليسوا ملوكاً حاكمين.

ولكن عندما يرفض الإنسان الإيمان بالمسيح، أو يبتعد عن حياة الكنيسة، فإنه يقع من جديد في شرك أنانيته وتمركزه حول ذاته. إنهم يعلَقون في شباك هوى محبة الذات والطمع الذي هو بحسب الرسول "أصل كل الشرور" (١ تيموثايوس ١٠:٦). أصبح الجشع بمرور الوقت شغفاً غير قابل للشفاء وسبباً جذرياً للشر في المجتمعات المتقهقرة. في الواقع، لم يعد الجشع يكتفي بالسلع المادية، بل تمدد أيضاً إلى الأشخاص، وبالتالي نشأت مؤسسة العبودية المخزية كانحطاط نهائي للإنسان الساقط.

جاء ابن الله وكلمته إلى العالم كمخلصه الوحيد والقادر. صار إنساناً، من نوع الإنسان الجديد الفائق الكمال، ليعيد مخلوقه إلى حالته التي كانت قبل السقوط. لقد جاء لإلغاء الخطيئة وتدمير مملكة إبليس وأعماله الخارجة عن القانون على الأرض، لإنقاذ الإنسان عالمياً (روحياً ، عقلياً ، جسدياً)، لتغيير الهياكل الاجتماعية الواهية وغير الإنسانية التي أنشأها المجتمع الانتقالي الشيطاني، وأحدُها الظلم الاجتماعي.

إن مجمل التعليم الإلهي يشير إلى مبدأ الأخوّة العامة بين البشر كنتيجة لأبوّة الله. وبالتالي، فإن الناس، كخليقة الله وكأعضاء في الكنيسة، هم إخوة بعضهم لبعض. كما هو الحال في الأسرة الطبيعية الصالحة، يتمتع جميع الأطفال على قدم المساواة ودون تمييز برعاية الأب، لذلك في الأخوَّة العالمية يجب أن يتمتع الأشخاص موضوعياً بنفس القدر بعطايا الآب السماوي. في مجتمع الكنيسة الإلهي الإنساني، كل شيء ملك

للجميع. والدليل على ذلك هو تطبيق الملكية المشتركة على الأشياء المادية في المجتمعات المسيحية الأولى، وحتى تجربة الملكية المشتركة في أديرتنا الأرثوذكسية الجماعية لمدة ألفي عام حتى اليوم. إن التعاطي الشائع مع الماديات في المجتمعات والأديرة المسيحية، هو بطريقةٍ ما نموذج للتعايش الاجتماعي في جميع المجتمعات البشرية عبر القرون.

بحسب تعاليم آبائنا القديسين، فإن مراكمة الخيرات المادية الفارغة هو حماقة وعلامة على الانحطاط الأخلاقي والروحي. من يملك أكثر مما يحتاج (الغني)، يشبه اللص، لأن ما هو فائض لديه ينقص عند غيره. يرِد التأكيد على هذه الحقيقة العظيمة بشكل خاص في مثل الغني ولعازر كما في مثل الغني الجاهل. يذكر باسيليوس الكبير في إحدى عظاته في القرن السادس (EPE 4،274، PG 29،153A) أن "الطمّاع الذي يستولي على ثروة الفقراء لا يختلف بأي حال عن السمكة الكبيرة التي تلتهم الأصغر منها" . لقد عاش هذا القديس العظيم حقاً حياته ببساطة، في قسوة وفقر، وكان أمام عينيه مثال ربنا الذي عاش على الأرض كرجل فقير، ليس له "مكان يسند إليه رأسه" (متى ٨:٢٠)، وكما يقول الرسول بولس بكلام موحى به من الله: "فَإِنْ كَانَ لَنَا قُوتٌ وَكِسْوَةٌ، فَلْنَكْتَفِ بِهِمَا" (١ تيموثاوس ٦:٨). كما كان سلوك جميع آباء كنيستنا القديسين الذين عاشوا في الحياة الحاضرة في فقر وتقشف وزهد، متجنبين كل أنواع الرفاهية والإنفاق غير الضروري، وبذلك كانوا قدوة للتقشف وتجنب كل أنواع الترف عند كلٍ من الإكليروس وشعب الله الأمين. وهكذا اكتسبت حججهم النارية ضد كل أنواع الهدر والمعيشةِ الفاخرة هيبةً ووزناً، لأنها كانت مختومة بحياتهم. يشير الرسول بولس بكلام موحى به إلهياً في رسالته الأولى إلى تيموثاوس، إلى أن التبذير يقود المسيحي إلى الموت الروحي: "أَمَّا الْمُتَنَعِّمَةُ فَقَدْ مَاتَتْ وَهِيَ حَيَّةٌ" (١ تيموثاوس ٥:٦). كيف يمكن للمسيحي (سواء كان كاهناً أو علمانياً) أن يعيش ببذخ ورفاهية بينما إخواننا الآخرون جائعون ومشردون وينامون بالخارج في برد الشتاء؟

ولكن هناك أيضاً حجة مضادة للعلاقة بين الثروة والإيمان المسيحي. فالبعض، الذين أغراهم شغف الجشع، يهتمّون بإعطائه "لوناً مسيحياً". إنهم يعتبرون الثروة "نعمة إلهية لإيمانهم بالله"!

هذا هو المفهوم اليهودي الخاطئ، والذي انتقل أيضاً إلى التقوى البروتستانتية. لسوء الحظ، يتمتع النظام الاقتصادي البلوتوقراطي [البلوتوقراطية هي حكم الأثرياء] الحديث بالدعم "الروحي" من "المسيحية" الهرطوقية البروتستانتية. هذا دليل آخر على أن البدعة لا تسيء إلى العقيدة فحسب، بل تسيء أيضاً إلى روح الناس والمجتمعات وحياتهم. لذلك فإن كل أشكال المسيحية الخاطئة والمطبوعة، والتي تريد أن تُسمى "كنائس" لا تعجز عن تقديم الحل فحسب، بل تغّذي الشر البشري بدلاً من ذلك.

من الواضح أن آليات عمل ما يسمى بـ "السوق الحرة"، التي ابتكرتها الفرنجية الهمجية والهرطوقية، من خلال ما يسمى بـ "التنوير الأوروبي"، ليست مناسبة كشكل من أشكال المعاملات البشرية. على العكس، إنها تشبه سلوكيات الوحوش البرية المتعطشة للدماء. موت المرء هو حياة الآخر. أعطانا العَدَمِي الملحد جان بول سارتر مقياس تراجع الإنسان بعبارته التي يُضرب بها المثل "الآخر هو جحيمي"! أصبحت جثث المنافسين الاقتصاديين منطلقات لغزو الثروة. لأن الأقوياء من الناحية المالية يستطيعون ويتم فرضهم، فإن القوانين

تفضلهم هم بشكل عام وليس الضعفاء. على الرغم من مرور آلاف السنين على هروب الإنسان من الحالة البدائية السخيفة وزعمه أنه أصبح "متحضراً"، في مجال الإدارة الاقتصادية لثروة العالم، لكنه يظل هو نفسه البدائي والوحش الشره.

إذن ، هل هناك حل للأزمة المالية العالمية المتطورة والمتفاقمة؟ نعم هناك! إنها عيش تعاليم المسيح الأبدية في الإدارة والسلطة، والتي إذا طبقتها الأمم والشعوب على نطاق واسع، يمكن أن تغيّر الأرض من الجحيم إلى الجنة. يكمن حل جميع مشاكل العالم بتجربة الروحانية الأرثوذكسية في فضاء كنيستنا الأرثوذكسية.

من خلال هذا الإعلان القصير نؤكّد أنه ما دامت الشعوب والمجتمعات تقاوم الطابع الإلهي الإنساني للعالم، فإن المآزق لن تستمر فحسب، بل سوف تزداد أيضاً وستسقط البشرية في هاوية الدمار!

Source: I.M. Πειραιώς. Η παγκόσμια οικονομική κρίση από την σκοπιά της Ορθοδόξου χριστιανικής μας πίστεως. 20/12/22>
https://www.vimaorthodoxias.gr/mitropoleis/i-m-peiraios-i-pagkosmia-oikonomiki-krisi-apo-tin-skopia-tis-orthodoxoy-christianikis-mas-pisteos/

تقهقر بطريركية القسطنطينية

القديس يوحنا ماكسموفيتش

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

هذا المقال هو جزء من تقرير عن الكنائس المستقلة أعده رئيس الأساقفة القديس يوحنا ماكسيموفيتش للقاء الشتات الثاني للكنيسة الروسية في الخارج، الذي انعقد في يوغوسلافيا عام ١٩٣٨. إنه يقدّم الخلفية التاريخية للحالة البطريركية القسطنطينية في ذلك الزمان. من المثير في هذا المقال أنه لو كُتب اليوم، باستثناء بعض النقاط الصغيرة التي تغيرت منذ ذلك الحين، إلا أن الأعمال والتصريحات "المسكونية" الأكثر إثارة للبطريركية في السنوات الأخيرة تضيف إليه الكثير. فالكثير من الأرثوذكسيين المخلصين يرون أن "المشهد المثير للشفقة" الذي يصفه القديس هنا، قد ازداد رداءة حتى صار يُنظَر إلى القسطنطينية كأحد مراكز العالم الرائدة في مناهضة الأرثوذكسية.

لكنيسة روما الجديدة، القسطنطينية، الأوليّة بين الكنائس الأرثوذكسية، ويرأسها بطريرك يحمل لقب "المسكوني"، وبالتالي تسمى البطريركية المسكونية، وقد وصلت إقليمياً إلى ذروة نموها في نهاية القرن الثامن عشر. في ذلك الوقت، ضمّت آسيا الصغرى بأكملها، وشبه جزيرة البلقان بأكملها (باستثناء الجبل الأسود)، إلى جانب الجزر المجاورة، وأُلغيَت الكنائس المستقلة الأخرى في شبه جزيرة البلقان وأصبحت جزءاً من البطريركية المسكونية. كان البطريرك المسكوني قد تسلم من السلطان التركي، حتى قبل استيلاء الأتراك على القسطنطينية، لقب ميليت بارب، أي رأس الملة، وكان يُعتَبر رأس كل السكان الأرثوذكس في الإمبراطورية التركية. ومع ذلك، فإن هذا لم يمنع الحكومة التركية من إزاحة البطاركة لأي سبب كان والدعوة إلى انتخابات جديدة وتحصيل ضريبة كبيرة من البطريرك المنتخب حديثاً. على ما يبدو، كان لجباية الضرائب أهمية كبيرة في تغيير الأتراك للآباء. لذلك، غالباً ما كانوا يسمحون لبطريرك أزالوه أن يعود إلى العرش البطريركي، بعد وفاة واحد أو أكثر من خلفائه. وهكذا، اعتلى العديد من البطاركة الكرسي عدة مرات، وكان كل اعتلاء مصحوباً بتحصيل الأتراك لضريبة خاصة منهم.

لتعويض المبلغ المدفوع لتولي العرش البطريركي، كان البطريرك يقوم بتجميع مجموعة من المطارنة التابعين له، وهم بدورهم يقومون بجمع المال من الكهنة التابعين لهم. هذه الطريقة في تكوين الموارد المالية تركت بصمةً على مجمل حياة البطريركية. في البطريركية، كانت "فكرة اليونان العظمى" جليةً، وهي محاولة استعادة بيزنطية، في البداية بمعنى ثقافي، ولكن لاحقاً بالمعنى السياسي. لهذا السبب، كان يُعيّن أشخاص موالون لهذه الفكرة في جميع المناصب المهمة، وفي الغالب يونانيون من منطقة في القسطنطينية تُسمى الفنار، وفيها توجد أيضاً البطريركية. بشكل شبه دائم، كان اليونانيون يملؤون الكراسي الأسقفية، على الرغم من أن السكان في شبه جزيرة البلقان كانوا في المقام الأول من السلاف.

في بداية القرن التاسع عشر، بدأت حركة تحرّر، بين شعوب البلقان التي كانت تسعى جاهدة لتحرير نفسها من سلطة الأتراك. فنشأت دول صربيا واليونان ورومانيا وبلغاريا، شبهَ مستقلة في البداية، ثم مستقلة بالكامل عن تركيا. وبالتوازي مع ذلك، تشكّلت كنائس محلية جديدة منفصلة عن البطريركية المسكونية. بالرغم من عدم رغبتهم، وتحت تأثير الظروف، فقد سمح البطاركة المسكونيون باستقلالية الكنائس في تلك الأمارات. لاحقاً، اعترفوا بالاستقلال الكامل للكنائس في صربيا واليونان ورومانيا. المسألة البلغارية كانت معقدة بالنظر إلى نفاد صبر البلغار، الذين لم يكونوا قد حصلوا بعد على الاستقلال السياسي، ومن ناحية أخرى، بسبب عناد اليونانيين. لم تعترف البطريركية بإعلان الاستقلال الذاتي البلغاري على أساس فرمان السلطان، وقد أدى ذلك إلى قيام رئاسات موازية في عدد من الأبرشيات.

تطابقت حدود الكنائس التي تشكّلت حديثاً مع حدود الدول الجديدة، والتي كانت تنمو طوال الوقت على حساب تركيا، وفي الوقت نفسه حصلت على أبرشيات جديدة من البطريركية. ومع ذلك، في عام ١٩١٢، عندما بدأت حرب البلقان، كانت البطريركية المسكونية تضم حوالي سبعين أبرشية والعديد من الأساقفة. انتزعت حرب ١٩١٢-١٣ جزءاً كبيراً من شبه جزيرة البلقان من تركيا مع ما فيها من مراكز روحية عظيمة كتسالونيكي وآثوس. الحرب الكبرى بين ١٩١٤-١٩١٨ حرمت تركيا لبعض الوقت من تراقيا بكاملها وساحل آسيا الصغرى مع مدينة إزمير، والتي خسرتها اليونان لاحقاً في ١٩٢٢، بعد فشل الزحف اليوناني إلى القسطنطينية.

هنا عجز البطريرك المسكوني أن يحرر بسهولة من سلطته الأبرشيات التي كانت قد سبق انفصالها عن تركيا. جرت محادثات حول بعض الأماكن التي كانت في الماضي تحت السلطة الروحية للقسطنطينية. ولكن عاد البطريرك المسكوني واعترف في عام ١٩٢٢ بضم جميع المناطق داخل حدود يوغوسلافيا إلى الكنيسة الصربية. كما وافق على ضمّ عدد من الأبرشيات في الدولة اليونانية إلى كنيسة اليونان، مع الاحتفاظ بسلطته على آثوس. في عام ١٩٣٧، اعترف حتّى بالاستقلال الذاتي للكنيسة الألبانية الصغيرة، والتي لم يكن قد اعترف بها في الأصل.

تراجعت حدود البطريركية المسكونية وعدد أبرشياتها بشكل ملحوظ. في الوقت نفسه، خسرت البطريركية المسكونية في الواقع آسيا الصغرى أيضاً، على الرغم من بقائها ضمن سلطتها. إذ بحسب اتفاقية السلام بين اليونان وتركيا في عام ١٩٢٣ جرى تبادل السكان بين الدولتين، بحيث اضطر جميع السكان اليونانيين في آسيا الصغرى إلى النزوح وإعادة التوطين في اليونان. المدن القديمة، التي كانت ذات مرة ذات أهمية كبيرة في الأمور الكنسية ومجيدة في تاريخ كنائسها، صارت بدون مقيم واحد على الإيمان الأرثوذكسي. في الوقت نفسه، فقد البطريرك المسكوني أهميته السياسية في تركيا، إذ حرمه كمال باشا من لقبه كرئيس للملّة. في الواقع، الآن، يقع تحت سلطة البطريرك المسكوني خمس أبرشيات داخل حدود تركيا، بالإضافة إلى آثوس مع الأماكن المحيطة بها في اليونان. يواجه البطريرك عقبات شديدة في إظهار حقه الذي لا جدال فيه في إدارة الكنيسة داخل حدود تركيا، حيث يُنظر إليه على أنه مسؤول تركي تابع للدولة، يخضع لإشراف الحكومة. تتدخل الحكومة التركية في جميع جوانب حياة مواطنيها، والامتياز الخاص الذي سمحت به للبطريرك

الأرثوذكسي كما للبطريرك الأرمني، هو الشعر الطويل والملابس الكنسية، فيما يحظّر ذلك على بقية الكهنة. لا يحق للبطريرك الخروج بحرية من تركيا، وفي الآونة الأخيرة تسعى الحكومة بإصرار أكثر من أي وقت مضى إلى نقله إلى العاصمة الجديدة أنقرة (أنقيرا القديمة)، حيث لا يوجد مسيحيون أرثوذكس، ولكن حيث تتركز الإدارة مع جميع فروع الحياة الحكومية.

هذا الامتهان الخارجي لمدينة القديس قسطنطين، التي كانت في يوم من الأيام عاصمة المسكونة، لم يزعزع توقيرها بين المسيحيين الأرثوذكسيين، الذين يجلّون كرسي القديسين يوحنا الذهبي الفم، وغريغوريوس اللاهوتي. من أوج هذا، يستطيع خليفة القديسين يوحنا وغريغوريوس أن يرشد روحياً العالم الأرثوذكسي بأسره، فقط إذا كان يمتلك ثباتهم في الدفاع عن الحق والبِرّ واتساع الرؤية كالبطريرك الأخير يواكيم الثالث. لكن، إلى التدهور العام للبطريركية المسكونية أُضيف اتجاه نشاطها بعد الحرب العظمى. لقد رغبت البطريركية المسكونية في التعويض عن فقدان الأبرشيات التي خرجت من سلطتها، كما فقدان أهميتها السياسية داخل حدود تركيا، من خلال ضمّها لمناطق لم يكن فيها رئاسات أرثوذكسية حتى ذلك الوقت، كما كنائس الدول التي حكوماتها غير أرثوذكسية. وهكذا، في ٥ نيسان ١٩٢٢، عين البطريرك ميليتيوس إكسارخوساً (وكيلاً) في أوروبا الغربية والوسطى بلقب مطران ثياتيرا مقيماً في لندن. في ٤ آذار ١٩٢٣، كرس البطريرك نفسه الأرشمندريت التشيكي ساباتيوس رئيس أساقفةٍ لبراغ وسائر تشيكوسلوفاكيا؛ في ١٥ نيسان ١٩٢٤، تأسست ميتروبوليّة هنغاريا وسائر أوروبا الوسطى وكرسيها في بودابست، على الرغم من وجود أسقف صربي هناك. في أمريكا، تم تأسيس أبرشية تابعة للكرسي المسكوني. ثم في عام ١٩٢٤ تم إنشاء أبرشية في أستراليا مركزها في سيدني. في عام ١٩٣٨، أصبحت الهند تابعة لرئيس أساقفة أستراليا.

في الوقت نفسه، تقدم الكرسي المسكوني نحو إخضاع أجزاء منفصلة من الكنيسة الأرثوذكسية الروسية تمّ انتزاعها بعيداً عن روسيا. وهكذا، في ٩ حزيران ١٩٢٣، قبِل البطريرك المسكوني أبرشية فنلندا ككنيسة فنلندية مستقلة ضمن سلطته. في ٢٣ آب ١٩٢٣، تم إخضاع الكنيسة الإستونية بنفس الطريقة؛ في ١٣ تشرين الثاني ١٩٢٤، اعترف البطريرك غريغوريوس السابع باستقلال الكنيسة البولندية كتابعة للبطريركية المسكونية، مع استقلال ذاتي. في آذار ١٩٣٦، قبِل البطريرك المسكوني لاتفيا في سلطته. لم يقتصر الأمر على قبول الكنائس في المناطق التي انتُزعَت عن حدود روسيا، فقَبِل البطريرك فوتيوس المتروبوليت أفلوجيوس في أوروبا الغربية مع الرعايا التابعة له، وفي ٢٨ شباط ١٩٣٧، سام رئيس أساقفة الأبرشية المسكونية في أمريكا الأسقف ثيودور بوغدان شبيلكو رئيساً للكنيسة الأوكرانية في أمريكا الشمالية.

وهكذا، أصبح البطريرك المسكوني "مسكونياً" [عالمياً] من حيث اتساع المنطقة التابعة له نظرياً. إن الكرة الأرضية كلها تقريباً، باستثناء الأراضي الصغيرة للبطريركيات الثلاثة وأراضي روسيا السوفييتية، بحسب فكرة قادة البطريركية، تدخل في تكوين البطريركية المسكونية. ومع ازدياد رغباتهم بلا حدود في إخضاع أجزاء من روسيا، بدأ بطاركة القسطنطينية في إعلان عدم قانونية ضم كييف إلى بطريركية موسكو، وإعلان أن الميتروبولية الجنوبية الروسية الموجودة سابقاً في كييف يجب أن تتبع للقسطنطينية. وجهة النظر هذه تمّ

التعبّير عنها بوضوح في توموس (كتاب) في ١٣ نوفمبر ١٩٢٤ حول انفصال الكنيسة البولندية، كما أن بطاركة القسطنطينية كانوا يروّجون لها. وهكذا، فإن نائب المطران أفلوجيوس في باريس، الذي تمت سيامته بإذن من البطريرك المسكوني، قد أتّخذ لقب أسقف خيرسون، ما يعني أن تشيرسونيز، الموجودة الآن في أراضي روسيا، تخضع للبطريرك المسكوني. الخطوة المنطقية التالية للبطريركية المسكونية هي إعلان كل روسيا تحت ولاية القسطنطينية.

ولكن القوة الروحية الفعلية وحتى الحدود الفعلية للسلطة تختلف إلى حد بعيد عن هذا التعظيم الذاتي للقسطنطينية. ناهيكم عن حقيقة أن سلطة البطريرك في كل مكان تقريباً وهمية ولا تتعدى في معظمها تثبيت الأساقفة الذين تم انتخابهم في أماكن مختلفة أو إرسال مثل هؤلاء من القسطنطينية، كما أن العديد من الأراضي التي تعتبرها القسطنطينية تحت سلطتها ليس فيها رعايا على الإطلاق.

وعلى المنوال نفسه، فإن السلطة الأخلاقية لبطاركة القسطنطينية قد تراجعت للغاية بسبب عدم التزامهم الثابت بالأمور الكنسية. وهكذا، رتب البطريرك ميليتيوس الرابع "مؤتمر عموم الأرثوذكس" مع ممثلين عن كنائس مختلفة، وفي هذا المؤتمر صدر المرسوم بإدخال التقويم الجديد. هذا المرسوم، الذي لم يعترف به سوى جزء من الكنيسة، أحدث انقساماً مخيفاً بين المسيحيين الأرثوذكس. اعترف البطريرك غريغوريوس السابع بمرسوم مجلس الكنيسة الحية بشأن خلع البطريرك تيخون، الذي أعلنه مجمع القسطنطينية قبل ذلك بوقت قصير "معترفاً"، ثم دخل في شركة مع "التجديديين" في روسيا وما زال حتى الآن.

بالخلاصة، من الناحية النظرية، تحتضن البطريركية المسكونية الكون كله تقريباً، أما في الواقع فإن سلطتها لا تغطي إلا عدداً من الأبرشيات، وفي أماكن أخرى ليس لديها سوى إشراف سطحي حيث تحصل على عائدات معينة لذلك؛ لقد اضطهدتها الحكومة في الداخل ولا تدعمها أي سلطة حكومية في الخارج؛ إن مشهد القسطنطينية وقد فقدت أهميتها كدعامة للحقيقة وتحولت إلى مصدر للانقسام، فيما يمتلكها في الوقت نفسه حب مفرط للسلطة، هو مشهد مثير للشفقة يستذكر أسوأ الفترات في تاريخ كرسي القسطنطينية.

تعليق

ظهر السلوك المعادي للأرثوذكسية في القسطنطينية منذ تولي ميليتيوس ميتاكساكيس ذلك الكرسي، واتّخذ أشكالاً مختلفة فاضحة مع البطريرك أثيناغوراس واستمر مع البطريرك ديمتريوس وصولاً إلى البطريرك الحالي برثلماوس. من الحق اليوم القول أن ما نشهده من انحراف قسطنطيني سواء في الانخراط المسكوني الأعمى أو التدخل في شؤون الكنائس الأخرى والاتكاء على السلطان الأميركي لتظهير انقسام العالم الأرثوذكسي إلى سلافي ويوناني، وآخر الابتداعات كان ما جرى في أوكرانيا والذي تشهد الحرب القائمة أنه كان جزءاً من المخطط السياسي الأميركي، ومن ثم مرور تعميد رئيس أساقفة أميركا لطفلين يتبناهما زوجان مثليان، وما يحمل غض النظر هذا من قبول لزواج المثليين وإعطائهم حق التبني، كل هذا لا يحجب حقيقة أن هذا الارتداد ليس من عمل برثلماوس وحده بل هو تتويج لعملية ارتحال القسطنطينية الطويلة والشاملة عن إيمان الكنيسة الأرثوذكسية وتقليدها.

مُنح لقب "مسكوني" لبطريرك القسطنطينية نتيجة نقل عاصمة الإمبراطورية الرومانية إلى هذه المدينة في القرن الرابع وأصبح البطريرك أسقف المدينة التي كانت مركز العالم المسكوني أو المتحضر. للأسف، في القرن العشرين، حاول كرسي القسطنطينية المجيد، بعد أن فقد مجده الأرضي لفترة طويلة بثمن بخس، استعادة المكانة من خلال الدخول في مسارين "مسكونيين" جديدين: الانغماس في "الحركة المسكونية" التي تقوم على أساس عالمي مناهض للمسيحية، والسعي إلى إخضاع الكنائس الأرثوذكسية الأخرى لنفسها وجعل بطريركها بابا الأرثوذكسية.

الهدف من نشر هذا المقال هو تسليط الضوء على هذه المسارات التي تجمّد الأرثوذكسية اليوم. لكن هذا الجمود سوف يكون قاتلاً في لحظة ما، خاصة مع اقتراب ٢٠٢٥ التي تحمل مشاريع وحدة مع الكثلكة، لن ينتج منها للأرثوذكسية إلا المزيد من الانقسامات، ليس على مستوى الكراسي فقط بل على مستوى داخل الكنائس المحلية. على الأرجح أن أنطاكيا لن يصيبها هذا الانقسام لأن مجمعها في مركب مسكوني واحد وبالتالي ما سوف تشهده هو بعض الانتقالات الفردية إلى الكنائس التي لن تنخرط في مسار الوحدة المحروقة هذا. طبعاً، هذا التقدير يقوم على أساس علوم هذا العالم، يبقى أن الروح يعمل حيث يشاء.